المجلد الثامن والعشرون للعام ٢٠٢٤م
حولية كلية اللغة العربية للبنين بجرجا

الاتِّصال غير اللفظي
مفهومه وتشكُّلاته في المعلقات العشر

Non-verbal communication,
its concept and formations in the ten mu'allaqat

بقلم الدكتور

عامر بن مقحم بن محمد المطيري

قسم اللغة العربية ـ كلية الشريعة والحقوق
جامعة شقراء ـ المملكة العربية السعودية

الترقيم الدولى/ ISSN: 2356 - 9050

العدد الثاني من إصدار مارس ٢٠٢٤م
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٢٠٢٤/٦٩٤٠م

الاتِصال غير اللفظي مفهومه وتشكّلاته في المعلقات العشر

عامر بن مقحم بن محمد المطيري

قسم اللغة العربية ـ كلية الشريعة والحقوق ـ جامعة شقراء ـ المملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني : a.almotairi@su.edu.sa

الملخص

هذا البحثُ دراسةٌ عن الاتِّصال اللفظي، وعنوانه : (الاتِّصال غير اللفظي مفهومه وتشكُّلاته في المعلقات العشر)، ولهذا الموضوعِ أهميةٌ كبيرةٌ ؛ إذْ إنَّ التَّواصلَ بين البشر يجري منذ أن خلق اللهُ الخليقةَ بطريقةٍ مباشرةٍ وغير مباشرةٍ، وكذلك سائر الكائنات الموجودة في الطبيعة؛ ولذلك كانتْ جميعُ الحركات والسكنات في عالمنا ذات دلالةٍ ووظيفةٍ، سواءً أكانتْ لفظيةً أم غيرَ لفظيةٍ، وتُعدُّ اللُّغةُ من أهمِّ وسائل التَّواصل لنقل الخبرات والمعارف.

ولأنَّ هذه اللغةَ على مستوى التخاطب والتَّواصل ذات مستويين سلوكيين: لفظي وغير لفظي؛ فإنَّ هذا البحثَ يهدفُ إلى بيان حدِّ كلٍّ من التَّواصل اللَّفظي وغير اللَّفظي، كما يهدفُ إلى تتبع أنواع التواصل غيرِ اللفظي وأنماطه في الشعر العربي القديم متمثِّلًا في «المعلقات العشر الجاهلية»، حيث عرف العربُ الاتصالَ غير اللفظي منذ العهد الجاهلي.

وقد اعتمدت الدراسةُ في هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي.

وكان من أبرز النتائج: أنَّ ممارسةَ الاتصال بشقَّيه: اللفظي وغير اللفظي كانتْ وما تزالُ طبيعةً إنسانيةً بلورها الإنسانُ، وطوَّرها من خلال الوراثة والتدريب والتعلم والمحاكاة، كما أظهر البحثُ أنَّ الشِّعرَ العربيَّ ـــ بصفةٍ عامَّةٍ ـــ والجاهليَّ ـــ بصفةٍ خاصَّةٍ ـــ غنيٌّ بشواهدَ غير لفظيةٍ مثيرةٍ للاهتمام يفصحُ عنها المظهرُ الخارجيُّ، وتعبيراتُ الوجه، ونظراتُ العيون.

الكلمات المفتاحية: الاتصال، غير اللفظي، مفهومه، تشكّلاته، المعلّقات، العشر

Non-verbal communication, its concept and formations in the ten mu'allaqat

Amer bin Muqhem bin Muhammad Al-Mutairi
Department of Arabic Language - College of Sharia and Law,Shaqra University - Kingdom of Saudi Arabia.
Email: a.almotairi@su.edu.sa

Abstract

This research is a study on verbal communication, and its title is: (Non-verbal communication, its concept and formations in the ten commentaries), and this topic is of great importance. Since communication between humans has been taking place since God created creation, directly and indirectly, as well as all other creatures existing in nature. Therefore, all movements and stillness in our world have significance and function, whether verbal or non-verbal, and language is considered one of the most important means of communication for transferring experiences and knowledge.

Because this language, at the level of conversation and communication, has two behavioral levels: verbal and non-verbal. This research aims to clarify the limits of both verbal and non-verbal communication. It also aims to trace the types and patterns of non-verbal communication in ancient Arabic poetry, represented by "The Ten Pre-Islamic Commentaries," as the Arabs have known non-verbal communication since the pre-Islamic era.

The study in this research relied on the descriptive analytical method.

One of the most prominent results was that the practice of communication, in its two parts: verbal and non-verbal, was and still is a human nature shaped by man and developed through inheritance, training, learning and emulation. The research also showed that Arabic poetry - in general - and pre-Islamic poetry - in particular - is rich in interesting non-verbal evidence. It is revealed by the external appearance, facial expressions, and eye looks.

Keywords: communication, non-verbal, its concept, formations, mu'allaqat, ten.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على سيدنا محمدٍ سيد الأولين والآخرين، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وبعد،،،،،،،،،،،،

فإنَّ التَّواصلَ بين البشر يجري منذ أن خلق اللهُ الخليقةَ بطريقةٍ مباشرةٍ وغير مباشرةٍ، وكذلك سائر الكائنات الموجودة في الطبيعة؛ ولذلك كانتْ جميعُ الحركات والسكنات في عالمنا ذات دلالةٍ ووظيفةٍ، سواءً أكانتْ لفظيةً أم غيرَ لفظيةٍ، وتُعدُّ اللُّغةُ من أهمِّ وسائل التَّواصل لنقل الخبرات والمعارف، وهذه اللغةُ على مستوى التخاطب والتَّواصل ذات مستويين سلوكيين: لفظي وغير لفظي، فما هو حدُّ كلٍّ من التَّواصل اللَّفظي وغير اللَّفظي؟

ولكي نجيبَ على السؤال السابق يجبُ علينا تجزئةُ مفردات المصطلحين؛ لنصلَ لبيان المعنى الاصطلاحي لهما، والفرق الدقيق بينهما.

أولًا: **التواصل لغة**:

تواصلَ يتواصلُ، تواصُلًا، فهو مُتواصِلٌ تَوَاصَلًا: خلاف تصَارَم. تَوَاصَلَ الصَّدِيقَانِ: وَاصَلَ أَحَدُهُما الآخَرَ فِي اتِّفَاقٍ وَوِئَامٍ واجْتَمَعا واتَّفَقا. تَوَاصَلَ الحَدِيثُ حَوْلَ الْمَائِدَةِ: تَوَالَى، وتواصلتِ الأشياءُ: تتابعت ولم تنقطع. وتَوَاصُلُ الحَبِيبَيْنِ: مُوَاصَلَةُ أَحَدِهِمَا لِلآخَرِ فِي اتِّفَاقٍ وَوِئَامٍ وتَوَاصُلُ الحَدِيثِ: تَوَالِيهِ، وواصل اللَّيلَ بالنَّهار: عمِل باستمرار، ووَاصَلَ الصِّيَامَ: لَمْ يُفْطِرْ أَيَّامًا تِبَاعًا، ووَاصَلَهُ بِالْمَالِ وَالهَدَايَا: أَعْطَاهُ[1].

---

(١) «لسان العرب» (١٣٥/١١)، لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الثالثة (١٤١٤هـ-١٩٩٣م)، و«تاج العروس من جواهر القاموس» (٣٦٤/٢٨)، لمحمد بن محمد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى الزّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية، و«الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية» (١٨٤٢/٥)، لأبي نصر، إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة: الرابعة (١٤٠٧هـ-١٩٨٧م).

إذًا المعنى اللغوي للتواصل يدور حول الاقتران والاتصال والصلة والترابط والتتابع والالتئام والجمع والإبلاغ والإعلام.

ثانيًا: التَّواصل اصطلاحًا:

هو عملية نقل الأفكار والتجارب، وتبادل المعارف والمشاعر بين الذوات والأفراد والجماعات. وقد يكون هذا التواصل ذاتيا شخصيًّا أو تواصلا غيريًّا.

وهناك مَن يُعرِّفُ التواصلَ بأنَّه: هو العمليةُ التي بها يتفاعلُ المراسلون والمستقبلون للرسائل في سياقاتٍ اجتماعيةٍ معينةٍ(١).

فالتواصلُ هو جوهرُ العلاقات الإنسانية، وهو محطُّ تطوُّرِها وله وظيفتان من خلال التعريف السابق: وظيفة معرفية، وتتمثل في نقل الرموز الذّهنية، وتبليغها زمانيًّا ومكانيًّا بوسائلَ لغويةٍ وغير لغويةٍ، ووظيفة تأثيرية وجدانية، وتقومُ على تمتين العلاقات الإنسانية، وتفعيلها على المستويين: اللفظي وغير اللفظي.

ثالثًا: مفهوم الاتِّصال اللفظي وغير اللفظي:

– **الاتصال اللفظي:** هو تبادلُ اللغة المنطوقة بين أطراف الاتصال للوصول إلى فهمٍ مشتركٍ للمعنى المقصود والذي يتمُّ التعبيرُ عنه بالألفاظ، ومن المجالات التي يظهرُ فيها الاتصالُ اللفظي الحوارات والنقاشات، والتعليم، والإعلام المرئيّ والمسموع. وقيل: هو الاتصالُ الذي يتمُّ عبر الكلمات والألفاظ، بحيث يتمُّ نقلُ الرسالة الصوتية من فم المرسل إلى أذن المستقبل، وتلعبُ اللغةُ المستخدمةُ ودرجةُ الصوت ومخارجُ الألفاظ دورًا كبيرًا في إضافة معاني أخرى للرسالة(٢).

ولأنَّه ليس محطَّ اهتمامنا في هذا البحث، فنكتفي بتعريفه وبيان حدوده دون الخوض في تفاصيله؛ لينصرفَ الحديثُ مباشرةً إلى موضوع البحث: «الاتصال غير اللفظي».

---

(١) «التواصل اللفظي وغير اللفظي» (ص: ٥٢–٧٢)، لجميل حمداوي، الناشر: أولاد ميمون، الناظور، المغرب (٢٠٠٦م).

(٢) المصدر السابق.

- **الاتصال غير اللفظي**: هو عمليةُ إرسال واستقبال الرسائل من خلال مجموعةٍ متنوعةٍ من الطرق دون استخدام الرُّموز اللفظية «الكلمة»[١].

وقيل هو: جميعُ المهارات التي يستخدمُها الفردُ أثناء قيامه بالتعامل مع المحيطين به بهدف إرسال واستقبال رسالة منهم أو إليهم، سواء كان ذلك هدفًا لتدعيم شكل التواصل اللفظي، أم أسلوبًا للتواصل غير لفظي في حدِّ ذاته ومن هذه المهارات: التواصل البصري، وتعبيرات الوجه، والإشارات والإيماءات، والتواصل بالصور والتي تُؤدِّي إلى الغرض من العملية الاتصالية، وهو نقلُ أفكار الفرد إلى المحيطين به أيًّا كانوا أفرادًا أو جماعات، من شعبه أو من شعوب أخرى، أو حيوانات يمكن أن يتواصل معها فتفهم منه ويفهم منها بالإيماء والإشارة[٢].

ويعرف أحمد عبد الله العريني الاتصال غير اللفظي بأنَّه: كل ما يصدرُ عن جسم الإنسان من حركات، أو إيماءات، أو إشارات، أو تعبيرات وجه، أو من خلال المظهر، أو الصوت وتغيراته، سواءً كانت إراديةً، أم غيرَ إراديةٍ، فطريةً، أم مكتسبةً، وتُؤثِّرُ في عملية الاتصال بين المرسل والمستقبل[٣].

وتتفقُ التعريفاتُ السابقةُ في كونه اتصالًا ـــ بلا كلماتٍ ـــ غير شفهي يتمُّ التعبيرُ عنه بوسائلَ غير لغويةٍ، يتسمُ بالرَّحابة والتَّنوع، وغنيّ بالرموز والدلالات، ويُعدُّ جزءًا حيويًّا من الاتصال الإنساني، حيث يُعزِّزُ معناه ويُثري دلالته، بل إنَّ هذا النوعَ من الاتصال قد ينقلُ الرسالةَ كاملةً، وينوبُ عن الرسالة اللفظية[٤].

---

(١) «مهارات الاتصال في الخدمة الاجتماعية»، للأستاذ الدكتور محمد سيد فهمي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الطبعة الأولى (٢٠١١م)، و«مبادئ الاتصال غير اللفظي»، لمحمد بدرة، وهو على هذا الرابط http://edutrapedia.illaf.net/arabic/show_article.thtml?id=4

(٢) «مهارات التواصل غير اللفظي لدي عينة من الأطفال ذوي التوحد»، رسالة ماجستير، لمحمد أحمد محمد على، كلية التربية، جامعة عين شمس (٢٠٠٨م).

(٣) «مهارات الاتصال غير اللفظية لدى هيئة التدريس في كلية العلوم بجامعة القصيم من وجهة نظر الطلبة»، لأحمد بن عبد الله بن صقير العريني، رسالة ماجستير، الأكاديمية العربية في الدنمارك، كلية الآداب والتربية (٢٠١١م).

(٤) «التواصل اللفظي وغير اللفظي» (ص: ٥٢-٧٢)، لجميل حمداوي، أولاد ميمون، الناظور، المغرب (٢٠٠٦م)، و«الاتصال غير اللفظي في الشعر العربي»، لأحمد بن راشد بن سعيد، طنجة الأدبية (٢٠٠٩م).

فعندما نقولُ: إنَّ فلانًا كتابٌ مفتوحٌ، أو إنَّ وجهه ينطقُ بمكنون صدره، فنحن نعني أنّنا قادرون على قراءة مشاعره من دون الحاجة إلى سماع ما يقول.

وعندما نسمعُ أو نقرأُ عباراتٍ مثل: امتقع وجهه، أو نظر شزرًا، أو تجهمت ملامحه، أو اغرورقت عيناه بالدُّموع، أو رمقته بنظرة شكٍّ، أو قدحت عيناه شررًا، أو أشرق وجهه بشرًا، أو جحظت عيناه، أو تألق محياه ابتهاجًا، أو هزَّ كتفيه استهجانًا، أو ابتسم ابتسامةً صفراءَ، أو أومأ إليه بالإيجاب، أو أدار إليه ظهره وقلب له ظهر المجن، فنحن نتحدثُ عن أشكالٍ عدَّةٍ ومتنوعةٍ من الاتصال غير اللفظي الغني بالدلالات والإيحاءات.

مكانة الاتصال غير اللفظي بين العلوم الإنسانية:

الاتصالُ غيرُ اللفظي أو الإيحاءُ غيرُ اللفظي: هو علمٌ حديثٌ، يدرسُ في عددٍ محدودٍ من الدول المتقدمة، مثل: فرنسا(١)، حيث يُهتمُّ بدراسة كيفية التواصل بين شخصين أو أكثر بلغة الإيماءات دون لفظٍ أو كلماتٍ، أي: أنَّك تستطيعُ أن تفهمَ شخصيةَ من أمامك دون الخوض في حديثٍ معه، وذلك من خلال ملامح وجهه وطريقة جلسته وطريقة مصافحته والحركات التي يقومُ بها... الخ، حتى من خلال نظرات الأعين، ويمكنُ أن يكونَ أفضلَ تعبيرٍ عن ذلك قولُ الشاعر:

وتعطَّلتْ لغةُ الكلامِ وخاطبتْ .. عيناي في لغة الهوى عيناك(٢)

وهذا النَّوعُ من الاتصال هو محطُّ اهتمامنا خلال هذا البحث، حيث نعتزمُ تتبعَ أنواعَه وأنماطَه في الشعر العربي القديم متمثِّلًا في «المعلقات العشر الجاهلية»، حيث عرف العربُ الاتصالَ غير اللفظي منذ العهد الجاهلي؛ وذلك أنَّ ممارسةَ الاتصال بشقَّيه: اللفظي وغير اللفظي كانتْ وما تزالُ طبيعةً إنسانيةً بلورها الإنسانُ وطوَّرها من خلال الوراثة والتدريب والتعلم والمحاكاة(٣).

---

(١) «التواصل الفعال: الأسس النظرية والمجالات التطبيقية» (٩٢-٩٣)، لمحمد الأمين موسى، الشارقة: جامعة الشارقة (٢٠١٢م).

(٢) «ديوان الشوقيات» (ص: ١٧٩)، لأحمد شوقي، دار العودة، بيروت (١٩٨٨م).

(٣) «مهارات التواصل اللغوي حقيبة تدريبية»، لمحمد بن ناصر الخليف، المملكة العربية السعودية وزارة التربية والتعليم الإدارة العامة للإشراف التربوي مشروع تطوير استراتيجيات التدريس، والاتصال غير اللفظي في الشعر العربي، أحمد بن راشد بن سعيد، طنجة الأدبية (٢٠٠٩م)، «ومفهوم التواصل، النماذج والمنظورات»، موقع ديوان العرب، حمداوي جميل (٢٠٠٦م).

ومنذ عرف الإنسانُ العربيُّ الشعرَ جسَّدَ هذه المعانيَ الاتصاليةَ في إنتاجه، فتحدَّث عن تعبيرات الوجه، وحركات الجسد، ونظرات العيون، ولغة الصمت وغيرها من أوجه الاتصال غير اللفظي، والشعرُ العربيُّ ــ بصفةٍ عامَّةٍ ــ والجاهليُّ ــ بصفةٍ خاصَّةٍ ــ غنيٌّ بشواهدَ غير لفظيةٍ مثيرةٍ للاهتمام يفصحُ عنها المظهرُ الخارجيُّ، وتعبيراتُ الوجه، ونظراتُ العيون، وسوف نسلطُ الضوءَ ــ بإذن الله ــ على ذلك كلِّه من خلال العرض التالي.

رابعاً: أنواع التواصل غير اللفظي في المعلقات العشر:

أ- التشكُّل البصري:

تحمل العينان في معظم الأحوال أصدقَ التعابير عن حقيقة ما يدورُ داخل نفوس البشر من أفكارٍ وانفعالاتٍ وعواطفَ، فهي ليست وسيلةً مجردةً لرؤية الخارج، بل هي وسيلةٌ بليغةٌ للتعبير عمَّا في النفوس والقلوب، فهناك بحرٌ من الأسرار ولغةٌ غامضةٌ في «العيون»، قال امرؤ القيس:

وَمَا ذَرَفَتْ عَيْنَاكِ إِلَّا لِتَضْرِبِي بِسَهْمَيْكِ فِي أَعْشَارِ قَلْبٍ مُقَتَّلِ(١)

في البيت السابق جرى تواصلٌ بين الشاعر ومحبوبته من خلال العيون ودمعها، فحين زرفت عيون تلك المحبوبة حزنًا وأسًى خوفًا من هجر الشاعر لها أثَّر ذلك البكاءُ في نفس الشاعر وتقطع قلبه أعشارًا رقةً ورحمةً بها، فقد قرأ من حال عينها الجميلتين الباكيتين الألم والعتاب، مشبهًا لهما بالسِّهام النافذة بسبب الأثر البالغ الذي تركته في نفسه.

---

(١) «ديوان امرئ القيس» (ص: ٢٤)، تحقيق: عبد الرحمن المصطاوي، الناشر: دار المعرفة، بيروت، الطبعة: الثانية (١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م)، و«شرح المعلقات التسع» (ص: ١٣٨)، لأبي عمرو الشيباني، المتوفى سنة (٢٠٦هـ)، تحقيق: عبد المجيد همو، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى (١٤٢٢هـ-٢٠٠١م)، و«محاسن الشعر وآدابه» (ص: ٢٧٧)، لابن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: دار الجيل، الطبعة: الخامسة (١٤٠١هـ-١٩٨١م)، و«شرح المعلقات السبع» (ص: ٤٠) للزَّوْزَني، الناشر: دار احياء التراث العربي، الطبعة: الأولى (١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م)، و«شرح القصائد العشر» (ص: ٢٢)، للتبريزي، الناشر: إدارة الطباعة المنيرية عام النشر: (١٣٥٢هـ).

ومنه قول عمرو بن كلثوم:

قِفِـي نَسـأَلْكِ هَـلْ أَحْـدَثْتِ صَـرْمًا لِوَشْـكِ الْبَـيْنِ أَمْ خُنْـتِ الْأَمِينَـا

بِيَـوْمِ كَرِيهَـةٍ ضَـرْبًا وَطَعْنًـا أَقَـرَّ بِـهِ مَوَالِيـكِ الْعُيُونَـا(١)

يقولُ الشاعرُ مخاطبًا محبوبتَه: أوْقفي مطيتك نسألك: هل أحدثتِ قطيعةً تنوينَ بها الفراقَ، أم خنتِ حبيبَك الذي تُؤمَنُ خيانتُه يوم انشغاله، وبنو عمك بحرب ضروس سعدت وقرَّتْ بها العيونُ؟! وسعادةُ العين وبرودتُها فيها تواصلٌ غيرُ لفظيٍّ يدلُّ دلالةً واضحةً على الرِّضا والاطمئنان على النتائج التي حقَّقها أولئك الأبطال في ميدان القتال.

ومنه قولُ امرئ القيس:

تَصُـدُّ وَتُبْـدِي عَـنْ أَسِـيلٍ وَتَتَّقِـي بِنَـاظِرَةٍ مِـنْ وَحْـشِ وَجْـرَةَ مُطْفِـلِ(٢)

يشيرُ الشَّاعرُ في قوله: «**وَتَتَّقِي بِنَاظِرَةٍ**» إلى نوعٍ من التواصل البصري المتمثِّل في إعراض المحبوبة بنظرةٍ منكسرةٍ هادئةٍ تتمُّ عن الرِّضا بالمحبوب والأنس به، كما ترمقُ الظِّباء ذات العيون الجميلة الواسعة صغارها في عطف وحنان، ففي تلك الحال تكونُ عيونُها في أجمل حالها وأفتن صورها.

ب- التشكُّل الحركي:

إنَّ حركاتِ الجسم المختلفةَ تُنبئُ وتُشيرُ إلى كثيرٍ من المعلومات التي تُؤثِّرُ على نظرتنا تجاه مَن نتعاملُ معهم، وهى لغةٌ عالميةٌ موحدةٌ، فمن حيث طريقة جلوسهم وقعودهم ومشيهم ووقوفهم وطريقة تحركهم نستنبط كثيرًا من المعاني

(١) «شرح المعلقات السبع» (١/ ٢١٩)، و«شرح المعلقات التسع» (ص: (٣١٦/١)، «خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب» (٤٣٣/١)، لعبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الرابعة (١٤١٨هـ-١٩٩٧م).

(٢) «الوساطة بين المتنبي وخصومه» (ص: ٣١)، للجرجاني، تحقيق :محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، و«ديوان امرئ القيس» (ص: ٢٦)، و«شرح المعلقات التسع» (ص: ١٢٩).

والأفكار عن طبيعتهم وشخصيتهم وما يريدون إيصاله لنا، ومن خلاله نحدِّدُ انطباعاتنا وتعاملنا معهم، ومن ذلك قول امرئ القيس:

وَيَوْمَ عَقَرْتُ لِلْعَذَارَى مَطِيَّتِي فَيَا عَجَبًا مِنْ كُورِهَا الْمُتَحَمَّلِ

فَظَلَّ الْعَذَارَى يَرْتَمِينَ بِلَحْمِهَا وَشَحْمٍ كَهُدَّابِ الدِّمَقْسِ الْمُفَتَّلِ(١)

بعد أن أشار الشاعرُ في البيت الأوَّل إلى يومٍ حافلٍ من أيام مغامرته الغرامية حين ذبح ناقته لمجموعةٍ من الفتيات الأبكار اللواتي حبسهنَّ عن أهلهنَّ، أورد الشاعرُ في البيت الثاني صورةً من صور التَّواصل غير اللفظي بين تلك الفتيات اللَّاتي أضافهنَّ الشاعرُ بشواء ناقته، حيث أخذ بعضهنَّ يرمي لبعضٍ قطعَ الشواء في تواصلٍ حركيٍّ مرحٍ ينمُّ عن السُّرور والانبساط بالحال والظرف المحيط بهنَّ.

ومن التواصل الحركي قوله:

هَصَرْتُ بِفَوْدَيْ رأسِها فتَمايَلَتْ عليّ هَضِيمَ الكَشحِ رَيَّا الْمُخلخَلِ(٢)

جرى تواصلٌ بين الشاعر ومحبوبته في البيت السابق عن طريق حركة التمايل والانحاء، فتلك الفتاة اللَّينة الكشح الضامرة الخصر ذات الشعر الضافي حين خرج بها الشاعرُ بعيدًا عن عيون الرقباء جذب ذوائبَ شعرها، فتمايلت عليه متجاوبةً مع طلبه، كما تميلُ الشجرةُ نحو مَن يجذبُ منها غصنًا.

ومن التواصل الحركي ــ أيضًا ــ قوله:

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ البَحرِ أرْخَى سُدولَهُ عليَّ بأنواع الهموم ليبتلي(٣)

---

(١) «ديوان امرئ القيس» (ص: ٢٦). و«شرح المعلقات التسع» (ص: ١٢٩). و«شرح شواهد المغني» (٥٥٨/٢) للسيوطي، الناشر: لجنة التراث العربي، (١٣٨٦هـ-١٩٦٦م).

(٢) «ديوان امرئ القيس (ص: ٤٠)، و«شرح القصائد العشر» (ص: ٢٧)، و«شرح المعلقات التسع» (ص: ١٢٩).

(٣) «عيار الشعر» (ص: ٤٠) لابن طباطبا، تحقيق: عبد العزيز المانع، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، و«ديوان امرئ القيس» (ص: ٤٨). و«شرح المعلقات التسع» (ص: ١٥٥)، و«محاسن الشعر وآدابه» (ص: ٢٧٦).

عقد الشاعرُ في البيت السَّابق نوعًا من التّواصل الحركي بينه وبين اللَّيل، وذلك حين تخيَّل الليلَ شخصًا يُرخي ستورَ ظلامه بأنواعٍ من الأحزان وفنونٍ من الهمِّ؛ ليختبرَ صبرَ الشَّاعر وجلدَه على ضروب الشدائد وفنون النَّوائب أيجزعُ منها أم يصبر؟ فهو ليلٌ يُحاكي أمواجَ البحر في توحُّشِها وشدَّة ظلامها، ورَمَى الشَّاعرُ في هذا التّصوير إلى التَّمدح بالصَّبر والْجَلَد.

ومن التواصل الحركي ــ أيضًا ــ قول طرفة بن العبد:

تَرِيعُ إلى صَوْتِ الْمُهيبِ وَتَتّقِي بذي خُصَلٍ رَوْعاتِ أكلَفَ مُلْبدِ(١)

يصفُ الشاعرُ ناقتَه في البيت السَّابق، فيصوِّرُ نوعًا من التَّواصل الحركي الذي يحملُ دلالاتٍ واضحةً بينها وبين الفحل الذي يُريدُ ضرابها، فناقةُ الشاعر ذكيةُ القلب ترجعُ إلى راعيها لتحتميَ به وتجعلَ ذنبَها حاجزًا بينها وبين فحلٍ تضربُ حمرتَه إلى السواد، متلبِّدُ الوبر حتى لا تمكِّنه من ضرابها، فإن لمْ يصل الفحلُ إلى ضرابها لم تلقح، وإنْ لم تلقحْ كانتْ مجتمعةَ القُوى وافرةَ اللحم قويَّةً على السَّير والعدو.

ومن التواصل الحركي ــ أيضًا ــ قوله:

أَحَلْتُ عَلَيْها بالقَطيعِ فَأَجْذَمتْ وَقَدْ خَبّ آلُ الأَمْعَزِ الْمُتَوَقِّدِ(٢)

في البيت السابق تواصلٌ حركيٌّ غيرُ لفظيٍّ بين الشاعر وناقته، وذلك أنَّ الشاعرَ حين استبطأ ناقتَه وأراد حثَّها على السير أقبل يضربها بالسَّوط؛ لتزيدَ من سرعتها، ففهمت الناقةُ تلك الإشارةَ من السَّوط فسارتْ بنشاطٍ في الأمعز، وهو المكانُ الذي يخالطُ ترابه حجارة أو حصى في وقت الظهيرة وقت اشتداد الحرِّ واضطراب الآل وهو السَّراب.

---

(١) «جمهرة أشعار العرب» (ص: ٣١٠) لأبي زيد بن أبي الخطاب، تحقيق: علي محمد البجادي، الناشر: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، و«ديوان طرفة بن العبد» (ص: ٢١)، تحقيق: مهدي محمد ناصر الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الثالثة (١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م).

(٢) «ديوان طرفة» (ص: ٢٤)، و«شرح المعلقات التسع» (ص: ٥٨).

ومن التواصل الحركي ــ أيضًا ــ قوله:

تُباري عِتاقًا ناجِيَاتٍ وأَتْبَعَتْ وَظيفًا وَظيفًا فوق مَورٍ مُعَبَّدِ(١)

في البيت السابق جرى تواصلٌ حركيٌّ بين ناقة الشاعر والنُّوق الأخريات، فحين رأت ناقةُ الشاعر تلك النُّوقَ الناجياتِ المسرعاتِ في السّير جاش حميها، وثار حماسها، فأرادت أن تباريهن في النَّشاط وسرعة السَّير، وصارت تتابع بين رجليها وساقيها في جريٍ متواصلٍ على طريق مستوي مذلل من كثرة السُّلوك والوطء عليه بالأقدام والحوافر والمناسم أثناء السير.

ومن التواصل الحركي ــ أيضًا ــ قوله:

فَذالتْ كما ذالتْ وَليدَةُ مَجْلِسٍ تُرِي رَبّها أذيالَ سَحْلٍ مُمَدَّدِ(٢)

وقد استمرَّ تواصلُها مع الشَّاعر خلال البيت السابق، حيث أرادت أن تظهر له القدرة على مسايرة ومنافسة تلك النُّوق، فأخذت تتبختر في مشيها؛ لتبيِّن له التَّمكن والمهارة والقدرة في فنون السَّير، مُشبهًا لها في تلك الحال بالجارية التي تتبختر وترقص بين يدي سيدها فتريه ذيل ثوبها الأبيض الطويل في رقصها.

ومن التواصل الحركي ــ أيضًا ــ قوله:

أخي ثِقَةٍ لا يَنْثَني عن ضريبةٍ إذا قيلَ مهلًا قال حاجزُه قَدي(٣)

في البيت السابق عقد الشَّاعرُ تواصلًا حركيًّا بينه وبين سيفه الذي يثق بمضائه كالأخ الذي يوثق بإخائه، فهو لا ينصرف عن ضريبة، ولا ينبو عمَّا ضُرب به، فإذا قيل لصاحبه: كُفَّ عن ضرب عدوك. قال مانع سيفه حَسْب مقتضى الحال: حسبي فإني قد بلغت ما أردت من قتل عدوي مستغنيًا بالضّربة الأولى عن غيرها.

---

(١) «تاريخ الأدب الجاهلي» (ص:٣٥٠)، علي الجندي، الناشر: مكتبة دار التراث، الطبعة: الأولى (١٤١٢هـ-١٩٩١م)، و«ديوان طرفة» (ص: ٢٠)، و«شرح المعلقات التسع» (ص: ٤٥).

(٢) «ديوان طرفة بن العبد» (ص: ٢٤)، و«شرح المعلقات التسع» (ص: ٥٨).

(٣) «قواعد الشعر» (ص: ٤٦) للشيباني، تحقيق: رمضان عبد التواب، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الثانية (١٩٩٥م)، و«شرح المعلقات التسع» (ص: ٩٥).

ومن التواصل الحركي قول زهير بن أبي سلمى:

وَمَا الْحَرْبُ إلّا مَا علمتمْ وَذُقتُم وَما هوَ عَنها بالْحَديثِ الْمُرَجَّمِ(١)

يقولُ الشاعرُ: إنَّ مَن اتَّصل بميدان الحرب وخاض غمارها أذاقتــه طعمهــا المرَّ، ووجهها الكالح، فما حقيقتها إلَّا ما عهدتم وجربتم، فهي كريهةٌ، والخوضُ فيها ليس مجردَ كلامٍ وحكاياتٍ لا تمتُّ إلى الواقع بصلة مما له علاقة بأحكام الظنــون، إنّما هي احتكاكٌ وتواصلٌ بغير حروفٍ ولا كلماتٍ تكونُ نتيجته زهــق النفــوس، وسيل المهج، وتتطاير الرؤوس.

ومن الحركي ــ أيضًا ــ قوله:

فتَعْرُكُكُم عرْكَ الرَّحى بثِفالها وَتَلْقَحْ كِشافًا ثُمّ تُنْتَجْ فَتُتْئِمِ(٢)

يقولُ الشاعرُ: إنَّ الحربَ ليست كلامًا جميلًا يُقال، أو أكلة شهية يُستمتعُ بها، إنّما هي رحى ظالمة غاشمة لا تعرف التَّفاهم ورائق الكلام، تطحن الرؤوس كمــا يُطحن الحبُّ، ويجتمع أهلُ الفساد والفجور لإذكائها وتلقيحها، فتولِّد الشُّــرور إثــر الشرور والمصائب إثر المصائب، كالتوأم الملاصق المشابه فــي الشــؤم وســوء المصير.

ومن التواصل الحركي ــ أيضًا ــ قوله:

رَأَيْتُ الْمَنايا خَبطَ عشواءَ من تُصب تُمِتْهُ وَمَنْ تُخطئ يُعَمَّرْ فَيَهْرَمِ(٣)

---

(١) «الذخائر والعبقريات» (ص: ٢٥٦) لعبد الرحمن البرقوقي، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، مصر، عام النشر (١٣٦٣م)، و«شرح المعلقات السبع» (ص: ١٤٣).

(٢) «زهر الأكم في الأمثال والحكم» (٢/ ١٠٩) للحسن بن مسعود اليوسي، تحقيق: د. محمد حجــي، د. محمد الأخضر، الناشر: دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة: الأولــى (١٩٨١م)، و«شــرح المعلقات السبع» (ص: ١٢٦).

(٣) «عيار الشعر» (ص: ٨٢)، و«الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء» (ص: ٥١) لأبي عبيد الله بن محمد بن عمران بن موسى المرزباني، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، سنة النشر: (١٤١٥هـ-١٩٩٥م).

يقول: إنَّ اتِّصالَ الموت بالنَّاس وفتكه بهم لا يكون عن طريق الإنذار والإيعاد بالكلام، وليس على نسقٍ وترتيبٍ حسب حلول الآجال، وإنّما يكونُ فجأة، كالضَّرب باليد عشوائيًّا دون قصدٍ معيَّنٍ من النّاس، فمَن وقعت عليه الضَّربة كان هو الضحية، ومن أخطأته عاش حتى الهرم، كالناقة العشواء الضعيفة البصر، التي لا ترى ليلًا فتخبط بيديها على عمى، فربما تردَّت في مهواة، وربما وطئت سبعًا أو حيةً أو غير ذلك. ولا شكَّ أنَّ اعتقادَه في الموت اعتقادٌ خاطئٌ؛ لأنَّ الشاعرَ عاش في العهد الجاهلي، فلا درايةَ له بحقيقة الموت وأنَّه لا ينزلُ إلّا بقدرٍ وأجلٍ مسمًّى، وليس كما يُتصورُ بأنَّه خبطٌ عشوائيٌّ.

ويقولُ لبيد بن ربيعة في ذات المعنى خلال الأبيات التالية من معلقته:

فالضَيفُ وَالجارُ الجَنيبُ كَأَنَّما هَبَطا تَبالَةَ مُخصِبًا أَهضامُها(١)

في سياق فخر الشاعر بمكارم الأخلاق والجود يقول: إنَّ الجارَ القريبَ والضَّيفَ الغريبَ ينزلان نزولًا، ويهبطان هبوطًا بمحلتي بحثًا عن الإكرام والإحسان، دون استئذانٍ أو طلبٍ بالكلام لما علما من جود الشَّاعر، فيلقى جميعهم من كرم الضيافة وسعة العطاء مثلما يلقاه النازل بوادي تبالة الكثير الخصب أيام الربيع.

تَأوي إِلى الأَطنابِ كُلُّ رَذِيَّةٍ مِثلُ البَلِيَّةِ قالِصٌ أَهدامُها(٢)

يقولُ الشاعرُ تأوي إلى أطناب بيتي كل مسكينة ضعيفة باليةِ الثياب دون حاجةٍ منها إلى الكلام ثقةً منها بكرم صاحب الدار وأنَّه سيزيلُ ما نزل بها من فقرٍ وعوزٍ ومسكنةٍ، ويُعينُها في قِلَّة تصرُّفها وعجزها عن الكسب وامتناع الرِّزق منها.

---

(١) «ديوان لبيد بن ربيعة العامري» (ص: ١١٥)، تحقيق: حمدو طمَّاس، الناشر: دار المعرفة، الطبعة: الأولى (١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م)، و«مجاني الأدب في حدائق العرب» (ص: ١٩١)، لرزق الله بن يوسف، الناشر: مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، عام النشر (١٩١٣م)، و«شرح المعلقات التسع» (ص: ٢٩٩).

(٢) «المعاني الكبير في أبيات المعاني» (١/ ٤١٣) لعبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: المستشرق د. سالم الكرنكوي، الطبعة الأولى (١٣٦٨هـ-١٩٤٩م)، الناشر: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، و«ديوان لبيد» (ص: ١١٥)، و«شرح القصائد العشر» (١/ ١٧٠).

ومن ذلك ــ أيضًا ــ قوله:

فَبَنَى لَنا بَيتًا رَفيعًا سَمكُهُ فَسَما إِلَيهِ كَهْلُها وَغُلامُها(١)

يريدُ الشاعرُ أنَّ قومَه يسمون إلى معالي الأمور بأفعالهم قبل أقوالهم، حيث إنَّ الله ــ تعالى ــ على حدِّ زعمه ــ بنى بيتَ شرفٍ ومجدٍ عالي السَّقف، فارتفع إلى ذلك الشَّرف كهلُ العشيرة وغلامُها، فعامَّةُ كهولهم وشبانهم يسمون إلى المعالي والمكارم بالأعمال الشريفة المأثورة عنهم.

ومنه قول عمرو بن كلثوم التغلبي:

صَبَنْتِ الكَأسَ عَنّا أمَّ عمروٍ وَكَانَ الكأسُ مَجراهَا الْيَمِينَا

وَمَا شَرُّ الثَّلاثَةِ أمَّ عمروٍ بِصَاحِبِكِ الذي لا تَصْبَحِينَا(٢)

يلومُ الشَّاعرُ السَّاقيةَ في مجلس الخمر حين قامت بتحويل الدَّور في الشُّرب وتناول الكأس عن جهة اليمن التي يجلسُ بها إلى جهة اليسار، ففهم من فعلها التجاهل والاستصغار قائلًا لها: صاحبك الذي لا تسقينَه الصبوح أو تُؤخِّري دورَه في الشرب ليس شرَّ هؤلاء الثلاثة الذين تسقينهم وتبدئين بهم، فكيف أخَّرتني وتركت سقيي الصبوح، وهي الخمرُ التي تُشربُ في الصباح الباكر.

ومنه قوله ــ أيضًا ــ:

مَتَى نَعْقِدْ قَرِينَتَنَا بِحَبْلٍ تَجُذَّ الْحَبْلَ أَو تَقِصِ القَرِينا(٣)

---

(١) «تاريخ الأدب الجاهلي» (ص: ٣١١)، و«ديوان طرفة» (١/ ١١٦)، و«شرح المعلقات التسع» (ص: ٣٠٢).

(٢) «الأمثال» (٢٨٢/٢) لأبي عُبيد القاسم بن سلاّم، تحقيق: الدكتور عبد المجيد قطامش، الناشر: دار المأمون للتراث، الطبعة: الأولى (١٤٠٠هـ-١٩٨٠م)، «والتذكرة الحمدونية» (١٢٢/٧) لمحمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون، أبو المعالي، بهاء الدين البغدادي، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الأولى (١٤١٧هـ)، و«شرح المعلقات التسع» (ص: ٣١٠)، و«شرح المعلقات السبع» (ص: ٢١٦).

(٣) «شرح المعلقات السبع» (ص: ٢٢٩)، و«شرح المعلقات التسع» (ص: ٣٣٢)، و«تاريخ الأدب الجاهلي» (ص: ٢٣٠).

يقولُ الشاعرُ متى قرَنَّا ناقتنا بأخرى قطعت الحبل أو كسرت عنق الناقة القرينة لها، وفي فعل الناقة ذلك رسالةٌ عمليةٌ بليغةٌ لا تحتاجُ إلى تدبيجٍ وتزويقٍ بالكلام مفادها أنَّنا متى قُرنا بقومٍ في قتالٍ أو جدالٍ غلبناهم وقهرناهم.

ومنه قول عنتر بن شداد العبسي:

إِنْ كُنْتِ أَزْمَعْتِ الفِرَاقَ فَإِنَّمَا زُمّتْ رِكَابُكُمْ بِلَيْلٍ مُظْلِمِ

مَا رَاعَنِي إِلَّا حَمُولَةُ أَهْلِهَا وَسْطَ الدّيارِ تَسَفّ حَبَّ الْخِمخِمِ(١)

يشيرُ البيتُ السابقُ إلى نوعٍ من التواصل الحركي غير المنطوق الذي أشار فيه الشاعرُ إلى بعض العلامات والدلالات التي تزعج وتحزن الشاعر، ومن هذه العلامات والدلالات رحيلُ قوم محبوبته، حيث بدأ ذلك الرحيل بحزم المتاع على الإبل استعدادًا للانتقال إلى ديارٍ أخرى، ثم تيقنه من رحيلهم حتى انقضاء مدة الانتجاع والكلأ، فإذا انقضت مدَّةُ الانتجاع علمت أنَّها سترتحل من محلتها إلى منتجع قومها الجديد، وكل ذلك لم يلهج به لسانٌ، وإنّما دلَّتْ عليه حركاتُ الإبل وأفعالُ أصحابها.

ومن التواصل الحركي قوله:

تُمْسِي وَتُصْبِحُ فَوْقَ ظَهْرِ حشيّةٍ وَأَبِيتُ فَوْقَ سَرَاةِ أَدهَمَ مُلْجِمِ(٢)

أشار الشاعرُ في البيت السَّابق إلى نوعٍ من التَّواصل الحركي بينه وبين المحبوبة، وذلك عند قوله: (تصبح فوق ظهر حشية)، فهي امرأةٌ منعمةٌ تُظهرُ للشاعر ترفَها ولينَ عيشها؛ لتغريه، فتصبح وتمسي فوق فراش وطيء وفروٍ ناعم، مخدومة لا خادمة، فتُؤثِّرُ الشمسُ على جمالها ولونها، ممَّا جعل الشاعرَ يُعجَبُ بحالها وشرف أصلها، فيقعُ ضحيةَ حبِّها، بينما هو يعيشُ عيشةً يُقاسي فيها شدائدَ الأسفار وويلاتِ الحروب.

---

(١) «شرح المعلقات السبع» (ص: ٢٤٧)، و«شرح المعلقات التسع» (ص: ٣٢٣)، و«خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب» (٣٩٢/٧).

(٢) «جمهرة أشعار العرب» (ص: ٣٥٥). و«شرح المعلقات التسع» ، ص (١/ ٢٢٨). «شرح المعلقات السبع» (٢٥٠/١).

ومن التواصل الحركي قوله:

إنْ تُغْدِفِي دُونِي القِنَاعَ فَإِنَّنِي طَبٌّ بأخْذِ الفارِسِ الْمُسْتَلْئِمِ(١)

صدرت من عشيقة الشاعر حركةٌ جرى من خلالها تواصلٌ غيرُ مباشرٍ بينها وبين الشاعر، وذلك حين رأت الشاعرَ فأرخت قناعَها معرضةً عنه في حركةٍ تنمُّ عن الازدراء وقِلَّة المبالات، فاستاء الشاعرُ من تلك الحركة التي فهمها فهمًا جيدًا، فقال ــ رادًّا عليها ــ: إنْ ترخي وترسلي دوني القناع، أي: تستتري عنِّي؛ استصغارًا واحتقارًا، فإنِّي حاذقٌ بأخذ الفرسان الدارعين، وحين لمْ أعجزْ عن صيدهم كيف أعجزُ عن صيد أمثالك؟!

ومن التواصل الحركي ــ أيضًا ــ قوله:

إِذْ لَا أَزَالُ على رِحَالَةِ سَابِحٍ نَهْدٍ تَعَاوَرُهُ الكُمَاةُ مُكَلَّمِ(٢)

جرى بين الشاعر وبين أعدائه نوعٌ من التواصل الحركي، وهو تواصلٌ لا كلامَ فيه ولا سبابَ، يتضحُ جليًّا من خلال قوله: (تعاوره الكماة) فأولئك المقاتلون تناوبوا على إصابة فرس الشاعر ومحاولة عطبه؛ لينالوا منه ومن صاحبه، فيقول لمحبوبته: هلَّا سألتِ الفرسانَ عن حالي إذا لمْ أزلْ على سرج فرسٍ سابحٍ، تتناوب الأبطالُ في جرحه ليقتلوني ويعطبوه، ولكنَّهم عن فعل ذلك عاجزون.

ومن ذلك قوله:

إِذْ يَتّقُونَ بِيَ الأَسِنّةَ لم أَخِمْ عَنْها ولَكِنّي تَضَايَقَ مُقْدَمِي(٣)

---

(١) «الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي» (٥٥٧/١) لأبي الفرج المعافى، تحقيق: عبد الكريم سامي الجندي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى (١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م)، و«تاريخ الأدب الجاهلي» (ص: ٣١٤)، و«شرح القصائد العشر» (ص: ١٩٥).

(٢) «جمهرة الأمثال» (١/ ١٨٥) لأبي هلال العسكري، الناشر: دار الفكر، بيروت، و«شرح المعلقات التسع» (ص: ٢٣٥)، «خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب» (٤٣٣/١).

(٣) «البديع في نقد الشعر» (ص: ٢٤٩) لأبي المظفر مؤيد الدولة مجد الدين أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني الكلبي الشيزري، تحقيق: الدكتور أحمد بدوي، والدكتور حامد عبد المجيد، ومراجعة: الأستاذ إبراهيم مصطفى، الناشر: الجمهورية العربية المتحدة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الإقليم الجنوبي، الإدارة العامة للثقافة، و«شرح المعلقات التسع» (ص: ٢٥٠)، و«خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب» (٤٣٨/٢).

يقولُ الشاعرُ حين يشتدُّ وطيسُ الحرب يتترَّسُ به أصحابُه، ويجعلونه حاجزًا بينهم وبين أسنَّة رماح أعدائهم في تواصلٍ غير منطوقٍ يُفهمُ منه صعوبةُ الموقف وخطورةُ المواجهة؛ ولذا هم يُقدِّمونه ويجعلونه في نحور أعدائهم، يقولُ الشاعرُ في تلك الحال: لمْ أجبنْ عن أسنَّتهم ولمْ أتأخَّرْ، ولكن قد تضايق موضعُ إقدامي، فتأخَّرتُ في شيءٍ من التّدبير والخدعة في الحرب.

ج- الجمع بين أكثر من تشكُّل:

قد يظهرُ التواصلُ غيرُ اللفظي في صورٍ وأشكالٍ عدَّةٍ في موقفٍ واحدٍ وخلال صورةٍ واحدةٍ؛ ليُعزِّزَ الأطرافُ المتحاورون من خلاله دِقَّةَ التفاهم، وتلقِّي المعلومة، ومثاله: أن يُجمعَ خلال ذلك النوع من التواصل بين الحركة والنظر والإيماء باليد؛ فيكون أدقَّ وأقوى في سرعة تلقِّي الإشارة وفهم الطرف الآخر، ومنه ما وصف به عنترةُ بن شداد حالَ حصانه أثناء المعركة، وكيف شكا معاناتَه إلى فارسه بطريقته:

ما زلتُ أرميهم بثغرة نحره ولَبَانِه حتى تسربلَ بالدّم

فازورّ من وقع القنا بلَبَانه وَشكَا إليّ بعبرةٍ وتحمحمِ[1]

صوَّرَ الشاعرُ في البيتين السابقين إقدامَه وتجشُّمَه بحصانه المخاطرَ وإقبالَه على العدو بشجاعةٍ وبسالةٍ جاعلًا نحرَ حصانه غرضًا للرماح والسِّهام، حتى سال الدَّمُ من نواحي جسمه المختلفة، وصار بمثابة الدِّرع الضافية عليه، حينها بلغ من الإنهاك وشدَّة الألم غايتَه فأخذ يشكو لصاحبه ما يجدُه من شدَّة البأس في لغةٍ غير منطوقةٍ، غاية في التأثير والبلاغة وإيصال الرسالة، حيث ازورَّ وتنحَّى جانبًا، وأخذ يصوِّتُ بحمحمةٍ حزينةٍ، وعينه تسيلُ بدمعةٍ ساخنةٍ من شدَّة المعاناة.

(١) «شرح ديوان الحماسة» (ص: ١٢٢) لأحمد المرزوقي الأصفهاني، تحقيق: غريد الشيخ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى (١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م)، و«ديوان امرئ القيس» (ص: ٤٩)، و«شرح المعلقات السبع» (ص: ٢٦٢).

ومنه قول طرفة بن العبد البكري:

نداماىَ بيضٌ كالنّجـــوم وَقَيْنَةٌ تَروُحُ علينا بين بُرْدٍ وَمُجْسَدِ
رَحيبٌ قِطابُ الْجَيبِ منْها رَفِيقَةٌ بِجَسّ النّدامَى بَضّةُ الْمُتَجَرّدِ(١)

في البيتين السابقين تواصلٌ متعدِّدٌ بين القينة (الجارية المغنية) وبين جلسائها (الندامى)، فهي تلبسُ ملابسَ ناعمةً ممَّا يلي الجسدَ، وتلك الثيابُ مغريةً مزعفـرةً ولها رائحةٌ طيبةٌ تجذبُ إليها جلساءَها، وتُغريهم بالافتتان بها وجيبها متسعٌ يسـمحُ بإدخال اليد وتحسُّس مفاتن تلك الجارية الجميلة.

ومنه قول زهير بن أبي سلمى:

رَأَيْتُ الْمَنايا خَبطَ عشواءَ من تُصب تُمِتْهُ وَمَنْ تُخطئ يُعَمَّرْ فَيَهْرَمِ(٢)

يدَّعي الشَّاعرُ أنَّ اتِّصالَ الموت بالنَّاس وفتكَه بهم لا يكونُ عن طريق الإنذار والإيعاد بالكلام، وليس على نسقٍ وترتيبٍ حسب حلول الآجال، وإنّما يكونُ فجـأةً، كالضَّرب باليد عشوائيًّا دون قصدٍ معيّنٍ من النَّاس، فمَن وقعتْ عليه الضَّربةُ كـان هو الضحية، ومَن أخطأته عاش حتى الهرم، كالناقة العشواء الضعيفة البصر، التي لا ترى ليلًا، فتخبط بيديها على عمى، فربما تردَّت في مهواةٍ، وربما وطئت سـبعًا أو حيَّةً أو غير ذلك، ولا شكَّ أنَّ اعتقادَه في الموت اعتقادٌ خـاطئٌ؛ لأنَّ الشـاعرَ عاش في العهد الجاهلي، فلا درايةَ له بحقيقة الموت وأنَّه لا ينزلُ إلّا بقدرٍ وأجـلٍ مسمًّى، وليس كما يُتصوَّرُ بأنَّه خبطُ عشواء ومحضُ صدفة.

ومنه قول عمرو بن كلثوم:

تُريكَ إذَا دَخَلْتَ علَـى خَلَاءٍ وَقَدْ أَمِنَتْ عُيُونَ الْكَاشِحِينَا
ذِراعَيْ عَيطَلٍ أَدمـــاءَ بِكرٍ هِجَانِ اللَّونِ لَم تَقرَأ جَنِينَا
وَثَدْيًا مِثْلَ حُقّ العَاجِ رَخْصًا حَصانًا مِـنْ أكُفِ اللّامِسِينَا
وَمَتْنَي لَدْنَةٍ سَـمَقَتْ وَطالَت رَوادِفُها تَنـــوءُ بِما وَلِينا

(١) «المعاني الكبير في أبيات المعاني» (١/ ٤٧٠)، و«شرح المعلقات التسع» (ص: ٦١).
(٢) «عيار الشعر» (ص: ٨٢)، و«الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء» (ص: ٥١).

وَمَأكَمَةً يَضيقُ البابُ عَنها وكَشحًا قَد جُنِنتُ بِهِ جُنونا
وَساريَتَي بِلَنطٍ أَو رُخـــامٍ يَرِنُّ خُشاشُ حَليهِما رَنينًا(١)

من خلال الأبيات السابقة تجدُ تواصلًا غيرَ لفظيٍّ متعددَ الأنماط بين الشاعر ومحبوبته تلمحُه من خلال المظهر والصورة التي رسمها الشَّاعرُ لتلك المرأة التي قصدتْ فتنتَه وجلب إعجابَه بكمالها الجسماني وصوت حُليِّها وما تصدره من خشخشةٍ ورنين، فهي تُري عاشقَها حالَ خلوتها وأمنها من عيون أعدائها ذراعين ممتلئتين لَحْمًا، كذراعي ناقةٍ طويلةٍ بيضاء اللون لمْ تحملْ ولدًا قط، وثديًا مثل حقِّ العاج بياضًا واستدارةً، محصَّنٌ من أكفِّ اللَّامسين، تلك المحبوبةُ طويلة القامة ثقيلة الأرداف يضيق الباب عنها لعظمها وامتلائها باللحم، ولها كشحٌ قد جُنَّ الشاعرُ بحسنه جنونًا، وساقان كأسطوانتين من عاجٍ أو رخامٍ بياضًا يصوت حليهما وخلاخيلهما تصويتًا لافتًا.

ومن التواصل المتعدِّد قول مرئ القيس:

تصُدّ وتُبْدي عن أسيلٍ وتَتَّقي بناظرَةٍ من وَحشِ وَجْرَةَ مُطْفِلِ(٢)

بالنظرة الشاملة للبيت تجدُ أنَّ الشاعرَ يُشيرُ في قوله: (تصدُّ، وتُبدي عن أسيل، وتتقي بناظرة) إلى نوعٍ من التواصل المتعدد الوجوه المتمثل في إعراض المحبوبة بجسمها وإبدائها طرف خدها الأسيل الناعم في نوعٍ من الإيحاء بالحياء والدَّلال خالطةً ذلك الإعراض بنظرةٍ منكسرةٍ هادئةٍ تنمُّ عن الرِّضى بالمحبوب والأنس به، كما ترمقُ الظِّباء ذات العيون الجميلة الواسعة صغارها في عطفٍ وحنانٍ، ففي تلك الحال تكونُ عيونها في أجمل حالها وأفتن صورها.

---

(١) «شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات» (ص: ٢٧٧) للأنباري، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار المعارف، الطبعة: الخامسة، و«شرح المعلقات السبع» (ص: ٢١٨).

(٢) «الوساطة بين المتنبي وخصومه» (ص: ٣١) للجرجاني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، و«ديوان امرئ القيس» (ص: ٢٦)، و«شرح المعلقات التسع» (ص: ١٢٩).

ومنه ــ أيضًا ــ قول عمرو بن كلثوم :

وَسَيِّدِ مَعْشَرٍ قَدْ تَوَّجُوه بِتَاجِ الْمُلْكِ يَحْمِي الْمُحْجَرِينا

تَرَكْنَا الْخَيلَ عَاكِفَةً عَلَيهِ مُقَلَّدَةً أَعِنَّتَـــــهَا صُفُونَا[1]

يقول: ورب سيد قوم متوج بتاج الملك حامٍ للملتجئين به قهرناه وقتلناه وأذقناه الذُّلَ والصغارَ بعد الملك الأبهة، وحبسنا خيلَنا عليه وقد قلَّدناها أعنتها، وهي صفونٌ فوق جثته قائمة على ثلاث قوائم مثنية سنبكها الرابع في رسالةٍ بليغةٍ غير منطوقةٍ مفادها النصر والظفر وقهر العدوِّ.

ومنه ــ أيضًا ــ قوله:

وَقَد هَرَّت كِلابُ الْحَيِّ مِنّا وَشَذَّبنا قَتَادَةَ مَن يَلِينا[2]

هاجمت قبيلةُ الشاعر القبيلةَ المجاورةَ لهم ليلًا قبيلَ الصبح، فأخذت كلابُ تلك القبيلة تنبحُ؛ استنكارًا لفعل المهاجمين وتنبيهًا لأهل الحيِّ من خطر الغزو، وكان ذلك عن طريق صوت النباح؛ لأنّها من العجماوات لا قدرةَ لها على تبليغ تلك الرسالة كلامًا، وإنَّما حيلتها النباح، وقد استعار الشاعرُ في الشطر الثاني تشذيبَ القتاد، وهو شجر الشوك؛ للإشارة إلى هزيمة الأعداء وكسر شوكتهم.

ومنه قوله ــ أيضًا ــ:

وَنَشْرَبُ إِنْ وَرَدْنَا الْمَاءَ صَفْوًا وَيَشْرَبُ غَيْرُنَا كَدِرًا وَطِينَا

مَلَأنَا البَرَّ حَتّى ضَـــاقَ عَنّا وَمَاءُ البَحْـرِ نَمْلَؤهُ سَفِينا

إِذَا بَلَغَ الفِطَامَ لَنَـــــا صَبِيٌّ تَخِرُّ لَهُ الْجَبَابِرُ سَاجِدِينَا[3]

---

(١) «الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي» (ص: ٥٩٥)، و«أمالي ابن الشجري» (١/ ١٠٧) لضياء الدين أبي السعادات المعروف بابن الشجري، تحقيق: الدكتور محمود محمد الطناحي، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الأولى (١٤١٣هـ-١٩٩١م)، و«شرح المعلقات التسع» (ص: ٣١٨)، و«شرح المعلقات السبع» (١/٢٢١).

(٢) «الحيوان» (١/ ٢٣٤) لعمرو بن بحر الجاحظ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الثانية (١٤٢٤هـ)، و«شرح المعلقات التسع» (ص: ٣١٨)، و«شرح المعلقات السبع» (ص: ٢٢٢).

(٣) «البلاغة العربية» (ص:٣٢٢) لعبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي، الناشر: دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة: الأولى (١٤١٦هـ-١٩٩٦م)، و«جمهرة أشعار العرب»(ص: ٢٩٢)، و«**شرح القصائد العشر**» (**ص:٢٤٥**)، و«**جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب**»(٢/ ٦٦).

يذكرُ الشاعرُ خلال الأبيات الثلاثة السابقة أفعالًا وأحوالًا يُظهرُ من خلالها مكانةَ قومه وشراستهم، تلك الأحوال تتضمن رسائلَ بليغةً مفهومةً لا تحتاجُ جدالًا أو كلامًا لفهمها وإيصالها، ودلائل حالها تكفي عن فضول القول والبيان، فقومُ الشاعر ــ على حدِّ زعمه ــ يأخذون أفضلَ كل شيءٍ ويدعون لغيرهم أرذله، ويشربون صفوَ الماء ويدعون لغيرهم الكدرَ والطينَ، وهم لكثرتهم عمَّروا البرَّ بالمدر والوبر، والبحر غطوا عرضَه بالقوارب والسُّفن، وهم لعزِّهم وخطر مكانتهم إذا بلغ صبيانُهم مرحلة الفطام سجدتْ لهم الجبابرةُ من غيرهم.

ومنه قول الأعشى بن ميمون:

تَسْمَعُ للحَلْيِ وَسْوَاسًا إذا انْصَرَفَتْ كَمَا اسْتَعَانَ بِرِيحٍ عِشْرِقُ زَجِلُ(١)

تلك المرأةُ تسترقُ قلبَ محبوبها من خلال صوت حُليِّها وخلخالها حين تأوي إلى فراشها مُوصلةً خلال تلك الصورة المركبة من تلألئ الحلي وصوتها رسالة غير منطوقة توحي بالتّرف وتمام النعمة وكمال الزينة؛ لتصيدَ قلبَ عاشقها وتُوقعُه في غرامها، والوجد بها.

ومنه قول النابغة الذبياني في وصف الصيد:

فَارْتَاعَ مِنْ صَوْتِ كَلَّابٍ فَبَاتَ لَهُ طَوْعُ الشَوَامِتِ مِنْ خَوْفٍ وَمِنْ صَرَدِ
فَبَثَّهُنَّ عَلَيْهِ، وَاسْتَمَرَّ بِهِ صُمْعُ الكُعُوبِ بَرِيئَاتٌ مِنَ الحَرَدِ
فَهَابَ ضُمْرَانُ مِنْهُ حَيْثُ يُوزِعُهُ طَعْنُ المُعَارِكِ عِنْدَ المُحْجَرِ النَّجُدِ
شَكَّ الفَرِيصَةَ بِالمِدْرَى فَأَنْفَذَهَا شَكَّ المُبَيْطِرِ إِذْ يَشْفِي مِنَ العَضَدِ
كَأَنَّهُ خَارِجاً مِنْ جَنْبِ صَفْحَتِهِ سَفُّودُ شَرْبٍ نَسُوهُ عِنْدَ مُفْتَأَدِ
لما رأى واشق إقعاص صَاحبه وَلَا سَبِيلإِلَى عقل وَلَا قَود
قَالَتْ لَهُ النَّفْسُ: إِنِّي لاَ أَرَى طَمَعًا وَإِنَّ مَوْلاَكَ لَمْ يَسْلَمْ وَلَمْ يَصِدِ

(١) «شرح المعلقات التسع» (ص: ١٩)، و«نثر الدر في المحاضرات» (٧/ ١١٦) لمنصور بن الحسين الرازي، أبو سعد الآبى، تحقيق: خالد عبد الغني محفوظ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى (١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م)، و«شرح القصائد العشر» (ص: ٢٨٩).

فَظَلَّ يَعْجُمُ أَعْلَى الرَّوْق مُنْقَبِضًا فِي حَالِكِ اللَّوْنِ صَدْقٍ غَيْرِ ذِي أَوَدِ(١)

تحكي الأبياتُ السابقةُ قصةَ صيد بطلها الثور الوحشي والكلَّاب صاحب كلاب الصيد المدربة، وقد حصل بين أطراف القصة حوارٌ غيرُ لفظيٍّ جرى من خلاله التواصلُ وانتهازُ الفرص وإحرازُ النصر، يُلمحُ ذلك جليًّا خلال العبارات: (فَارْتَاعَ مِنْ صَوْتِ)، (فَبَثَّهُنَّ عَلَيْهِ)، (فَهَابَ ضُمْرَانُ)، (قَالَتْ لَهُ النَّفْسُ)، (فَظَلَّ يَعْجُمُ أَعْلَى الرَّوْق)، فذلك الثورُ الذي يُشبُه ناقةَ الشاعر في القوة والصلابة والتحمل بات ليلةً باردةً واقفًا على قوائمه منزويًا غيرَ مستقرٍّ خوفًا من رصدِ الصَّيَّاد، فلما فطن له الصيادُ أرسل عليه كلابَه الرَّشيقةَ المدربةَ بغيةَ صيده والإيقاع به، ولكنَّ ذلك الثورَ كان عنيدًا شديدَ المراس، فحين اقترب منه الكلبُ (ضمران) طعنه بقرنه ما بين جنبه وكتفه فانجحر الكلبُ جريحا، ثمَّ أُردي قتيلًا متأثِّرًا بجراحه، فلمَّا رأى الكلبُ الآخرُ، واسمه (واشق) الحالَ التي استحال إليها صاحبُه، حيث لمْ يسلمْ ولم يصدْ تراجع عن مطاردة الثَّور الوحشي، وآثر الإبقاءَ على حياته.

ومنه الأبيات التالية لعبيد بن الأبرص في وصف العقاب:

كأنَّها لقوةٌ طلـــوبُ ... تيبسُ فِي وكْـرهَا القلُوبُ
بَاتَتْ عَلَى إِرَمٍ عَذُوبـا ... كَأنّهَا شـــــيْخَةٌ رَقُوبُ
فَأَصْبَحَتْ فِي غَدَاةٍ قِرَّةٍ ... يَسْقُطُ عَنْ رِيشهَا الضّرِيبُ
فَأبْصرَتْ ثَعْلَبًا سَرِيـعا ... وَدُونهُ سَبْسَـــبٌ جَـدِيبُ
وَارْتَاعَ مِنْ حَسِيـــسٍ ... وَفِعْلَهُ يَفْعَلُ المَـــــذْؤُوبُ
فَنَهَضَتْ نَحْوَهُ حَثِـيثَةً ... وَحَرَدَتْ حَرْدَهُ تَسِـــــيبُ
فَدَبَّ مِنْ رَأْيِهَا دَبِـيبًا ... وَالعَيْنُ حِمْلَاقُهَا مَقْلُـــوبُ

(١) «المعاني الكبير في أبيات المعاني» (٢/ ٧٢٩)، و«الأزمنة والأمكنة» (ص: ٢٨٢) لأبي على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى (١٤١٧هـ)، و«شرح القصائد العشر» (ص: ٣١٢).

فَأَدْرَكَتْهُ، فَطَرَّحَتْهُ ... وَالصَّيْدُ مِنْ تَحْتِهَا مَكْرُوبُ(١)

تحكي الأبياتُ السابقةُ قصةً دراميةً من قصص الصيد بطلتها عقاب، رأى الشاعرُ من حركاتها وتصرفها ما أدهشه فهي تُشبهُ فرسَه في الصلابة والسرعة، وقد راقبها مُفسِّرًا جميعَ تحركاتها وسكناتها التي هي من البيان والوضوح بقدرٍ يُغني عن الكلام، حيث قلوبُ الطير قد تيبَّستْ حول وكرها ممَّا يدلُّ على أنَّها صيودٌ قويةُ البدن لا تُؤثِّرُ عليها شدَّةُ البرد، تنظرُ في الجهات يمنةً ويسرةً باحثةً عن فرصةٍ سانحةٍ للصيد، حتى وقع بصرُها على ثعلب يعدو في الصحراء الممتدة أمامها، فنهضت إليه في سرعةٍ ونشاطٍ وهو يعدو متوجسًا منها؛ فرقًا وخوفًا، فأدركته وضربته ضربةً قويةً بجناها فتعفر بالتراب، وصار في حالةٍ من الضعف والكرب بعد أن مكَّنت مخالبها ومنقارها في صدره.

ومنه قول الحارث بن حلزة في البيت التالي:

أو سَكَتّمْ عَنّا فَكَنّا كَمَنْ أَغْ مَضَ عَيْنًا في جَفْنِهَا الأَقْذَاءُ(٢)

يقولُ الشاعرُ ــ مخاطبًا خصومَه مشيرًا إلى أنواعٍ من التواصل غير اللفظي المقترح بين قومه وبين خصومهم في قوله: (أو سكتم، أغمض عينا) ــ: إنْ تعاملتم معنا بالسكوت عمَّا جرى بيننا من دماء بعدم المطالبة بها أغمضنا أعيننا على مضضٍ وحقدٍ عليكم، فتنازلنا عمَّا جنيتم فينا من دماء بالميل إلى الصلح والموادعة.

ومنه قوله في البيت التالي:

هَلْ عَلِمْتُمْ أَيّامَ يُنْتَهَبُ النّا سُ غِوَارًا لِكُلّ حَيٍّ عُوَاءُ(٣)

---

(١) «جمهرة أشعار العرب» (ص: ٢٨٧)، و«شرح القصائد العشر» (ص: ٢٢٢)، و«شرح الشواهد الشعرية في أمهات الكتب النحوية» (١/١٧٩) لمحمد بن محمد حسن شُرَّاب، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى (١٤٢٧هـ-٢٠٠٧م).

(٢) «مجاني الأدب في حدائق العرب» (١/ ١٩٧)، و«شرح المعلقات السبع» (ص: ٢٧٦)، ولباب الآداب (ص: ١٢٢)، لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري، تحقيق: أحمد حسن لبج، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى (١٤١٧هـ-١٩٩٧م).

(٣) «لباب الآداب» (ص: ١٢٢)، و«شرح المعلقات السبع» (ص: ٢٧٦)، و«مجاني الأدب في حدائق العرب» (١/ ١٩٧).

يخاطبُ الشاعرُ خصومَه مهدِّدًا ومتوعِّدًا ومذكِّرًا لهم بغاراتهم القاصفة والقوية على القبائل المجاورة حيث لا كلامَ ولا تفاهمَ، إنّما تواصلٌ من خلال ضرب المغاور وضجيج وصياح الحيِّ المهزومين، ممَّا ألَمَّ بهم من الغارات.

د- تشكُّلات أخرى:

١- الإيماء: هو جزءٌ من نسيج حياتنا اليومية، مثل: استخدام أيدينا عندما يكونُ المتحدِّثُ يُؤيِّدُ رأيَه بحجةٍ أو يتحدَّثُ عن نفسه بحيويةٍ ونشاطٍ، ونستخدمُ الإيماءاتِ أثناء تحدُّثنا كثيرًا، ولكن هناك اصطلاحات مختلفة في الإيماء لكل شعب وكل إقليم، فهناك ما هو مشتركٌ، وهناك ما هو مختلف، فلكلِّ قومٍ خصائصُهم وثقافتُهم في الإيماء، كاصطلاحٍ يتمُّ التفاهمُ والتعاملُ به، وبالنسبة لنا كمسلمين وعرب من الإيماء ما هو جائزٌ ومحمودٌ ـــ أحيانًا ـــ إن كان يدعم المكارمَ وفعلَ الخير، ومنه ما هو مذمومٌ ومحرَّمٌ إن كان وسيلةً لفاحشةٍ أو أمرٍ محرَّمٍ، ومن هذا الباب قول طرفة العبد البكري:

إذا نحنُ أو مأنا إليها انبرَتْ لنا ... على رِسْلِها مَطروفَةً لم تَشَدَّدِ[1]

يقولُ: تلك الجاريةُ المغنيةُ تستجيبُ لما يُطلبُ منها من غناءٍ وغيره لمجرد الإيماء دون كلام، فإذا سألناها الغناءَ إيماءً عرضتْ تُغنينا متئدةً في غنائها في نغمةٍ رقيقةٍ حزينةٍ لا تشدُّدَ فيها.

٢- اللَّمس: يتواصلُ النَّاسُ ـــ أحيانًا ـــ ويتفاعلون معًا من خلال اللَّمس، مثل: المصافحة، والعناق، والتقبيل، والمسح على الشعر، ووضع اليد حول العنق، والتربيت على الظهر، فاللَّمسُ لغةُ تواصلٍ قويةٌ لإبلاغ كثيرٍ من الرَّسائل دون حديثٍ أو لغةٍ منطوقةٍ بين الناس، ومن أنماطها النموذج التالي من معلقة امرئ القيس:

وَإِنْ تَكُ قَدْ ساءَتكِ مني خَليقةٌ ... فَسُلّي ثيابي من ثيابكِ تَنْسُلِ[2]

---

(١) «ديوان طرفة بن العبد» (ص: ٢٤)، و«شرح المعلقات التسع» (ص: ٦١)، و«المعاني الكبير في أبيات المعاني» (١/ ٤٧٠).

(٢) «ديوان امرئ القيس» (ص: ٤٨)، و«شرح المعلقات التسع» (ص: ١٥٥)، و«محاسن الشعر وآدابه» (ص: ٢٧٦).

أشار الشاعرُ في البيت السابق إلى نوعٍ من التواصل الذي يتمُّ من خلال اللَّمسِ وحكِّ الأشياء ببعضها، أو إسقاطها عن بعض وفك ارتباطها، فالشاعرُ طلب من زوجته التَّصرُّفَ بهذا النَّوع من التَّواصل إنْ كانتْ مستاءةً من خلقٍ من أخلاقه، أو كارهةً لخصلةٍ من خصاله، حيث جَرَت العادةُ بذلك في العهد الجاهلي، فكان الرجلُ والمرأةُ إذا أرادا الإنفصالَ رمزا لذلك بحك ثوبيهما ببعضٍ، ثُمَّ فصلهما وإبعادهما عن بعضٍ بعد الملامسة؛ ليدُلَّ على تفرُّق شملهما بعد اجتماعه.

٣- **الصَّوت:** يُعدُّ الصوتُ من أنواع التواصل غير اللفظي المهمة، حيث يُمكنُ للنَّاس التواصلُ مع بعضهم في جميع الأغراض، وذلك من خلال أصواتهم دون استعمالٍ للحروف الكلمات، فمن خلال الأصوات تصلُنا رسائلُ كثيرةٌ، مثل: السخرية، والغضب، والمحبة، والكره، والسعادة، والحزن، والثقة، والضعف، بحيث نلمحُ ذلك كلَّه من اللَّهجة، ونبرة والصوت، والإيقاع، ومن ذلك قول امرئ القيس:

وَوَادٍ كَجَوفِ العَيرِ قَفْرٍ قطعتُهُ بِهِ الذئبُ يَعوي كالْخَلِيعِ الْمُعَيَّلِ

فقُلتُ لَهُ لَمَّا عَوى إنّ شأننا قَليلُ الغِنى إن كنتَ لَمّا تَمَوَّلِ(١)

في البيت الثّاني جرى تواصلٌ بين الشاعر وبين الذئب، وذلك من خلال سماعه صوتَ عوائه، وقد مهَّدَ لذلك في البيت الأول، حيث يقول: ربَّ وادٍ قفر لا ماءَ فيه ولا عشبَ، كجوف الحمار لا شيءَ يُستفادُ منه قطعته وطويته سيرًا، وكان الذئبُ فيه من فرط الجوع، كالفقير المعيل الذي أثقلته نفقةُ أهله، فيصيحُ بهم ويُخاصمُهم؛ إذْ لا يجدُ ما يُرضيهم به، فقلتُ له لما فهمتُ سببَ عوائه: كلانا فقيرٌ، وكلانا يبحثُ عن رزقٍ وقوتٍ يكفيه، فلا تُفكِّرْ أن تجعلني طعمةً لك فتكونَ ضحيةَ أطماعك.

ويقولُ لبيد بن ربيعة العامري في ذات المعنى:

رُزِقَتْ مرَابيعَ النّجومِ وَصَابَهَا وَدْقُ الرّواعِدِ جَوْدُهَا فَرِهامُها

(١) «ديوان امرئ القيس» (ص: ٥١)، و«ثمار القلوب في المضاف والمنسوب» (ص: ٨٤) لعبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي، الناشر: دار المعارف القاهرة.

مِنْ كُلّ سَارِيَةٍ وَغَادٍ مُدْجِنٍ وَعَشِيّةٍ مُتَجَاوِبٍ إِرْزَامُهَا[1]

يقولُ الشاعرُ: إنَّ تلك الدِّيارَ التي زارتها الأمطارُ الربيعيةُ مستمرةٌ في هطولها ليل نهار بلا توقُّفٍ، فصارت الرُّعودُ تتجاوبُ فوقها من خلال أصواتها القاصفة وبروقها اللامعة، وأخذ يتناوبُ عليها السَّحابُ الجودي التام، والرّهم الخفيف، والسّاري الممطر ليلًا، والغادي الملبس لآفاق السماء بكثافته وتراكمه، تلك السُّحبُ المختلفةُ تتجاوبُ في أصواتها ورعودها بمنطقٍ لا كلامَ فيه، فحواه الإرعادُ والإبراقُ والإغراقُ.

ومنه قول عمر بن كلثوم التغلبي:

فَمَا وَجَدَت كَوَجدي أُمُّ سَقبٍ أَضَلَّتهُ فَرَجَّعَتِ الْحَنينا[2]

يقولُ الشاعرُ: يوم فراق الأحبة حزنتُ حزنًا لمْ تحزنْه ناقةٌ أضلَّتْ ولدَها، فأخذتْ تُردِّدُ صوتًا حنينًا حزينًا يُوصلُ رسالةً مفهومةً غير منطوقةٍ، مفادها التوجُّعُ والتألُّمُ لفراق صغيرها، فالشاعرُ حين فراق الأحبة كتلك الناقة الوالهة لفقد صغيرها.

ومنه قول الحارث بن حلزة:

أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ عِشَاءً فَلَمّا أَصْبَحُوا أَصْبَحَتْ لَهُمْ ضَوضَاءُ

مِنْ مُنَادٍ وَمِنْ مُجِيبٍ وَمِنْ تَصْ هَالِ خَيْلٍ خَلَال ذَاكَ رُغَاءُ[3]

---

(١) «ديوان لبيد بن أبي ربيعة» (ص: ١٠٧)، و«الفن ومذاهبه في الشعر العربي» (٥٠/١) لأحمد شوقي عبد السلام ضيف الشهير بشوقي ضيف، الناشر: دار المعارف بمصر، الطبعة: الثانية عشرة، و«المعجم المفصل في شواهد العربية» (١٤٨/٧) للدكتور إميل بديع يعقوب، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى (١٤١٧هـ-١٩٩٦م).

(٢) «الفاخر» (ص: ٦) للمفضل بن سلمة بن عاصم، أبو طالب، تحقيق: عبد العليم الطحاوي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، الطبعة: الأولى (١٣٨٠هـ)، و«شرح المعلقات التسع» (ص: ٣١٢)، و«شرح المعلقات السبع» (ص: ٢١٧).

(٣) «المعاني الكبير في أبيات المعاني» (٢/ ٨٥٦)، و«شرح المعلقات السبع» (ص: ٢٧٣)، و«لباب الآداب» (ص: ١٢٢).

في البيتين السابقين يُشيرُ الشاعرُ إلى تواصلٍ غير لفظيٍّ عبر عنه في قوله: (ضوضاء، تصهال، رغاء) وهو تواصلٌ جرى بين أفراد أعدائهم التغلبيين ترتيبًا واستعدادًا لمهاجمتهم ومباغتتهم في أوقات الصباح الأولى، حيث أطبقوا أمرَهم على قتالهم في وقت العشاء، فما أصبحوا إلَّا ولهم جلبةٌ وصياحٌ في أنحاء ديار قوم الشاعر.

٤- **المظهر**: إنَّ المظهرَ ونوعَ الطلعة وتناسقَ أجزاء الشيء يُعدُّ من العوامل القويَّة التي تُؤثِّرُ في عملية الاتصال غير اللفظي وإيصال الرِّسالة إلى المرسل إليه، وهو يعكسُ انطباعاتٍ مهمةً لدى المتلقِّي، ومن ذلك قول امرئ القيس في وصف فرسه:

وَرُحْنا يكادُ الطَّرْفُ يقصُرُ دونَهُ متى ما تَرَقَّ العَينُ فيه تَسَفَّلِ(١)

في البيت السابق جرى نوعٌ من التَّواصل بين الشاعر وبين الحصان، وذلك من خلال مظهره التَّام الحسن الذي استتم أوصافَ الكمال والجمال، فكانت العيونُ تعجزُ عن ضبط حسنه واستقصاء محاسن خلقه، متى ما ترقَّت العينُ في أعالي شخصه نظرتْ إلى قوائمه، فهو كاملُ الحُسنِ رائعُ الصورة ينطقُ مظهرُه بما يُغني عن الأحرف والكلمات.

ومنه قول لبيد بن ربيعة في البيت التالي :

وَيُكَلِّلونَ إذا الرياحُ تَناوَحَت خُلُجًا تُمَدُّ شَوارِعًا أَيتامُها(٢)

يقولُ الشاعرُ ــ مفتخرًا بكرمه وكرم قومه ــ: إنَّ إكرامَنا للأيتام والفقراء والأرامل يظهرُ في صورة أفعالٍ تظهرُ للعيان، وليس مجردَ كلامٍ، فإذا تناوحت رياحُ الشِّتاء الباردةُ، واحتاج النَّاس للدِّفء، وقلَّتِ المؤن، وانتشر العوزُ بين أولئك

(١) «مجاني الأدب في حدائق العرب» (٦/ ١٨٦)، و«ديوان امرئ القيس» (ص: ٥٢)، و«شرح المعلقات التسع» (ص: ١٧٠)، و«شرح القصائد العشر» (ص: ٤٧).

(٢) «جمهرة أشعار العرب» (ص: ٢٦٦)، و«تاريخ الأدب الجاهلي» (ص: ٣١١)، و«ديوان لبيد بن ربيعة» (ص: ١١٥)، و«شرح المعلقات التسع» (ص: ٣٠٠).

الفقراء ملأ قومُ الشاعر لهم القدورَ الضخمةَ من اللحم حتى يصيرَ اللحمُ كالإكليل فوق القدور، وتصبح تلك القدورُ كأنهارٍ تفورُ بالمرق الطَّيب واللحم اللذيذ.

وقوله ــ أيضًا ــ في البيت التالي:

وَهُمُ رَبيعٌ لِلمُجاورِ فيهُمُ وَالْمُرمِلاتِ إذا تَطاوَلَ عامُها(١)

كرمُ أولئك القوم لا يحتاجُ إلى توضيحٍ وتذويقٍ بالكلام، إنّما هو كالرَّبيع الفعلي الذي يلمسُ النَّاسَ نفعُه وخيرُه وجمالُه فتحيا به الأرضُ، فهم لمن جاورهم من النِّساء الفقيرات الأرامل اللواتي نفدت أزوادُهنَّ بمنزلة الربيع إذا تطاول عامهنَّ لسوء حالهنَّ؛ لأنَّ زمانَ الشِّدَة يطولُ على الإنسان ويثقلُ عليه.

٥- ملامح الوجه (التبسم والعبوس):

قد تحكمُ على شخصية الآخرين وحقيقة مشاعرهم بمجرد النظر إلى وجوههم ... وقد يكونُ الوجهُ فعلًا مرآةً للشخصية من الداخل، تظهرُ عليه التعبيراتُ ومشاعرُ الحب والحزن والفرح والغضب، أو مفتاحًا للتواصل مع الآخرين، يُمكنُ من خلاله فهمُ ما يدورُ بداخل الشخص الماثل أمامك بسهولةٍ. ومن ذلك قول طرفة بن العبد البكري:

وَتَبْسِمُ عن أَلْمَى كأنّ مُنَوّرًا تَخَلّلَ حُرّ الرّمْلِ دِعْصٍ له نَدِ(٢)

في البيت السابق تحدَّث طرفةُ عن محبوبته التي أرسلت إليه رسالةَ فتنةٍ وإغراءٍ عبر تواصلٍ غير لفظيٍّ أفصح من كلِّ الحروف والكلمات وأشد تأثيرًا وإثارةً من كل تعبيرٍ، وذلك حين تبسَّمتْ فأبدتْ ثغرًا ألمى الشفتين شديد البياض، كأنَّه زهرُ الأقحوان الأبيض النديّ النابت من دعصٍ رمليٍّ ناعمٍ.

---

(١) «ديوان طرفة» (ص: ١١٦)، و«شرح المعلقات التسع» (ص: ٣٠٢)، و«تاريخ الأدب الجاهلي» (ص: ٣١١).

(٢) «ديوان طرفة بن العبد» (ص: ٢٠)، و«شرح المعلقات التسع» (ص: ١٤٣)، و«محاسن الشعر وآدابه» (ص: ٢٧٦).

ومنه قوله ــ أيضًا ــ:

رَأَيْتُ بَني الغَبَراءَ لا يُنْكِرُونَني وَلا أَهْلُ هذاكَ الطِّرَافِ الْمُمَدَّدِ[١]

إنَّ أهلَ الغبراء، وهم الفقراء الذين لصقوا بالأرض من شدَّة فقرهم لا تُنكرُ وجوهُهم الشاعرَ كما أنكرته عشيرتُه، بل يُحبُّونه ويرحِّبون به في تواصلٍ حَشوه المحبةُ والاحترامُ والهشُّ والبشُّ وبسطُ الوجه عند اللقاء قبل التحية والكلام؛ لأنَّه يُنعمُ ويُحسنُ إليهم دائمًا، وكذلك الأغنياء أصحاب القباب من الأدَم يُحبُّونه ويرحِّبُون به لاستطابتهم صحبتَه ومنادمتَه، فإنْ هجره الأقاربُ وصله الأباعدُ، وهم الفقراءُ والأغنياءُ خارج العشيرة، فهؤلاء لطلب المعروف وأولئك لطلب العلا والذِّكر.

ومنه قول عنتر بن شداد العبسي:

لَمَّا رَآنِي قَدْ نَزَلْتُ أُرِيدُهُ أَبْدَي نَوَاجِذَهُ لِغَيرِ تَبَسُّمِ[٢]

جرى بين الشاعر وعدوِّه نوعٌ من التَّواصل غير اللفظي، حين وصف عدوَّه قائلًا: (أبدى نواجذَه) ؛ ليعبِّرَ عن عبوسه وحقده وشدَّة عداوته، فقلصت شفتاه عن أسنانه، ليس ذلك لتكلُّمٍ ولا لتبسُّمٍ، ولكن من الخوف وكراهية الموت.

ومنه قوله ــ أيضًا ــ:

وَلَقَدْ حَفِظْتُ وَصَاةَ عَمّي بالضّحَى إِذْ تَقْلِصُ الشّفتانِ عَن وَضَحِ الفَمِ
في حَوْمَةِ الْحَرِبِ التي لا تَشْتَكِي غَمَـــرَاتِها الأبطالُ غَيْرَ تَغَمْغُمِ[٣]

يتحدَّثُ الشاعرُ عن حربٍ ضروسٍ خاضها في مواجهة أبطال وفرسان أشداء جري بينهم تواصلٌ غيرُ منطوقٍ من خلال تغيُّر ملامح الوجه وتقلص شفاهٍ عن الأسنان من شدة البأس وضراوة القتال، يقولُ الشاعرُ: في ساحة القتال وأثناء تلك

---

(١) «جمهرة أشعار العرب» (ص: ٣٢٥)، و«دراسة في نصوص العصر الجاهلي تحليل وتذوق» (١/ ١٩٩)، للسيد أحمد عمارة، الناشر: مكتبة المتنبي.

(٢) «العقد الفريد» (٢٠/٦) لابن عبد ربه الأندلسي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى (١٤٠٤هـ)، «خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب» (٩/ ٤٨٦).

(٣) «شرح المعلقات السبع» (ص: ٢٦٢)، و«شرح المعلقات التسع» (ص: ٢٤٩)، «مجاني الأدب في حدائق العرب» (٢٠٠/٦).

الحال العسيرة حفظتُ وصيَّةَ عمي ضحًى باقتحامي القتال ومناجزتي الأبطالَ في أشدِّ أحوال الحرب خطورةً وباسًا، حيث لا تفاهمَ ولا كلامَ بين أصحابها إلَّا من خلال الجلبة والصياح لما غمر قلوبهم وعقولهم من لأوائها وقسوتها.

٦- **المذاق والرائحة:** إنَّ طعومَ المواد رائحتُها تتركُ انطباعًا في نفوس النَّاس حبًّا وكرهًا، وهي من وسائل التَّواصل غير اللفظي التي لا حاجةَ معها إلى بيانٍ بالكلمات والحروف، فكثيرٌ من المطعومات والمشروبات حين تذوُّقها وشمِّها تستميلُ النَّاسَ، وكثيرٌ منها ينفرُ النَّاسُ من طعمها ورائحتها، ومن ذلك قول عمرو بن كلثوم التغلبي في الخمر:

تَجُورُ بِذِي اللُّبَانَةِ عَنْ هَوَاهُ إِذَا مَا ذَاقَهَا حَتَّى يَلِينَا(١)

يعتقدُ الشاعرُ أنَّ الخمرَ جالبةٌ للسُّرور، طاردةٌ للهموم والأحزان؛ لما تُسبِّبُه من تغييب عقل صاحبها عن العالم المحيط به، لا من خلال المؤانسة والتَّسيلة بالكلام في مجالسها التي تشربُ فيها؛ لأنَّه يحسُّ بمَن حوله، ولا يعي وعيًا كاملًا لما يُقالُ أو يجري في مجلسه وإنَّما بسبب الأثر الذي تتركُه على الشارب عند تذوُّقها.

ومنه قول الأعشى في محبوبته:

إذا تَقُومُ يَضُوعُ المِسْكُ أَصْوِرَةً وَالزَّنْبِقُ الوَرْدُ مِنْ أَرْدَانِهَا شَمِلُ(٢)

جري في البيت السَّابق تواصلٌ غيرُ منطوقٍ بين الشاعر ومحبوبته، وذلك من خلال رائحتها الزَّكية الفوَّاحة بالمسك وأنواع الطِّيب من وردٍ وفُلٍّ وياسمين، حيث تفوحُ من جسدها وثيابها، فينجذبُ الشَّاعرُ لها ويُفتَنُ بجمالها وطيب رائحتها.

٧- **طريقة المشي:** يُعدُّ المشيُ وسيلةً من وسائل التواصل غير المباشر؛ حيث يحملُ دلالاتٍ حسب نوعه تُغني عن الكلام، فهناك مشيةُ التبختر، ومشيةُ

---

(١) «سمط اللآلي في شرح أمالي القالي» (١/ ٦٣٤) لأبي عبيد البكري، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، و«جمهرة أشعار العرب» (ص: ٢٧٣)، و«شرح المعلقات التسع» (ص: ٣٠٩).

(٢) «شرح المعلقات التسع» (ص: ١٩)، و«نثر الدر في المحاضرات» (٧/ ١١٦) لمنصور بن الحسين الرازي، تحقيق: خالد عبد الغني محفوظ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى (١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م)، و«شرح القصائد العشر» (ص: ٢٨٩).

التواضع، ومشيةُ الغنج والدَّلال، ومشيةُ الخوف والارتياب، أنواعٌ كثيرةٌ من المشي يفهمُها المتلقِّي الناظرُ مباشرةً في رسالةٍ مختصرةٍ تُغني في صدقها ودلالاتها عن الكلام إذا تجرَّد عن التمثيل، ومن هذا النوع قولُ الأعشى في وصف ومحبوبته:

غَرَّاءُ فَرْعَاءُ مَصْقُولٌ عَوَارِضُهَا تَمْشِي الهُوَيْنَا كمَن يَمْشِي الوَجِى الوَحِلُ

كَأَنَّ مِشْيَتَهَا مِنْ بَيْتِ جَـــارَتِهَا مَـــــرُّ السَّحَابَةِ، لاَ رَيْثٌ، وَلاَ عَجَلُ(١)

يقولُ: تلك امرأةٌ مترفةٌ منعمةٌ، قد استكملتْ أوصافَ الجمال من صفاء اللون وجمال الشعر ونقاء الثغر، تمشي مشيًا فيه دلالٌ وتمايلٌ وتبختـرٌ وتـأنٍّي كمشـي السحابة؛ وذلك لإيصال رسالةٍ غير كلاميةٍ لمحبِّها، فحواها الجذبُ والفتنةُ من خلال رجِّ المفاتن وإظهارها؛ لقصد التعلُّق بها دون مَن سواها من النساء؛ لشرف أصلها وجمال جسمها وفتنة حركتها.

٨- **الصمت:** قد يُعبِّرُ الصَّمتُ ــ أحيانًا ــ عن موقفٍ لدى الطرف الآخـر؛ ليدُلَّ على غضبه وامتعاضه، أو حيائه وخجله، أو جهله وخوفه، أو الرِّضـا عـن الحال، كلُّ ذلك يكونُ في صورٍ يفهمُها المتلقِّي بوضـوحٍ دون الحاجـة للتعبيـر بالكلام، ومن ذلك ما تضمَّنه البيتُ التالي للأعشى:

صَدَّتْ هُرَيْرَةُ عَنَّا مَا تُكَلِّمُنَا جَهْلًا بِأُمِّ خُلَيْدٍ حَبْلَ مَنْ تَصِلُ(٢)

يشيرُ الشاعرُ في البيت السابق إلى صدود تلـك المـرأة وإعراضـها عنـه وتحاشي الحديث معه في نوعٍ من التواصل غير المنطوق لجأت إليه؛ لتعبِّرَ عـن عتابها، ولتظهرَ دلالَها على الشاعر؛ فيرضخَ ويسـتكينَ لمطالبهـا، وهـي إذْ ذاك متجاهلةٌ مكانةَ الشاعر وقدرَه في مجتمعه.

---

(١) «عيار الشعر» (ص: ٣٠)، و«حماسة الخالديين في الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضرمين» (١/ ٢١)، للخالديان: أبو بكر محمد بن هاشم الخالدي، و أبو عثمان سعيد بن هاشـم الخالدي، تحقيق: الدكتور محمد علي دقة، الناشر: وزارة الثقافة، الجمهورية العربية السورية، و«شرح القصائد العشر» (ص: ٢٨٩).

(٢) «شرح المعلقات التسع» (ص: ١٩)، و«نثر الدر في المحاضرات» (٧/ ١١٦)، و«شـرح القصـائد العشر» (ص: ٢٨٩).

٩- الابتعاد والتَّحاشي: الابتعادُ وتحاشي النَّاس من الوسائل التي يستخدمُها بعضُ النَّاس للتعبير عن مواقفَ مختلفةٍ بأسلوب التواصل غير اللفظي، فيدُلُّ ـــ أحيانًا ـــ على البغض، ويدلُّ ـــ أحيانًا أخرى ـــ على الخوف، وربَّما دلَّ على الحياء والخجل وخوف الفضيحة، وربَّما كان دافعه الحذر وأخذ الحيطة، كل تلك الأحوال يُدركُها المتلقُّون ويميزون بينها حسب دلائل الأحوال، ومنه قول طرفة بن العبد:

ومَا زَالَ تَشْرَابِي الْخُمورَ وَلَذّتِي وَبَيْعِي وإنْفاقي طَرِيفي ومُتْلَدي
إلى أن تحامَتْني العشيرة كُلّها وَأُفْرِدْتُ إِفْرادَ البَعيرِ الْمُعَبَّدِ(١)

في البيتين السابقين يشيرُ الشاعرُ إلى نوعٍ من التواصل غير اللفظي بينه وبين أهله وعشيرته عبَّر عنه بقوله: (تحامتني)، ومعناها المرادف لغويًّا: تحاشتني واجتنبتني واعتزلتني، وهو موقفٌ واضحُ الدلالة يُستغنَى فيه عن الكلام، وبيَّنَ سببَ ذلك الموقف السلبي قائلًا: لمْ أزلْ أشربُ الخمرَ وأشتغلَ باللَّذات وبيع الأموال النفيسة وإنفاقها، سواء الطريف منها (المستحدث) أو التّليد (القديم الموروث) والانشغال بذلك عن اقتناء المال وإصلاحه حتى تجنبتني عشيرتي، كما يُتجنَّبُ البعيرُ المطليُّ بالقطران، وأفردتني وأبعدتني لما رأتْ أنِّي لا أكفُّ عن إتلاف المال والاشتغال بالملذات.

ويحملُ البيتُ التالي دلالةَ ومعنى البيت السابق:

فَما لي أرَاني وابنَ عمي مالِكًا مَتى أدْنُ مِنْهُ يَنأَ عني ويَبْعُدِ(٢)

يشرحُ لنا الشَّاعرُ في البيت السَّابق محاولتَه التَّواصلَ مع ابن عمِّه وملاطفتَه والدُّنوَّ منه، ولكنّ ذلك القريبَ يُبادلُه بالقرب بُعدًا، وبالملاطفة والمجاملة هجرًا وإعراضًا وعبوسًا في الوجه قبل الرَّد بالكلام، ولا يُعطيه فرصةً للتبرير أو إصلاحٍ لذات البين، أو بيانٍ لسوء التَّفاهم الواقع بينهما.

---

(١) «خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب» (٤/ ٣٠٤)، و«شرح المعلقات السبع» (ص: ١٠٦).
(٢) «ديوان طرفة بن العبد» (ص: ٢٦)، و«شرح القصائد العشر» (ص: ٨٨).

١٠- **الخبرات والتجارب:** الخبراتُ والتجاربُ المكتسبةُ تقودُ إلى تواصلٍ حقيقيٍّ غير لفظيٍّ مع الأحداث تنتجُ عن كثرة المراس والخبرة تُوصلُ إلى نتائجَ محسومةٍ ومعروفةٍ مُسبقًا عند العقلاء (أهل التجارب والعلم)، ومنه قول زهير بن أبي سلمى في وصف الحرب:

فَتُغْلِ لكم مَا لا تُغِلّ لأَهْلِها قُرىً بالعراق من قَفِيزٍ وَدِرْهَمِ(١)

يقولُ: إنَّ الحربَ لها غلالٌ ونتاجٌ تهبُه مَن يخوضُها لا يصحبُه بسطُ الوجه وطيبُ الكلام، إنّما يصحبُه النَّكالُ والعذابُ من كثرة المضار والشُّرور المتولدة عنه، وهو عكس حال القرى الآمنة في العراق؛ فإنَّ غلالَها تنتجُ القفزانَ المليئةَ بالدَّراهم؛ لأنَّها سِلمٌ لا حربَ فيها، فالشاعرُ هنا يحثُّ أطرافَ الحرب على الاعتصام بحبل الصلح، والزَّجر عن الغدر الموقدِ للحرب ونار الفتنة.

ومن ذلك قوله في الحكمة:

وَمَنْ لَمْ يَذُدْ عَنْ حَوْضِهِ بِسِلاحِهِ يُهَدَّم وَمَن لا يظلِمِ النّاسَ يُظْلَمِ(٢)

يرى الشاعرُ من خلال البيت السابق أنَّ من شروط العزِّ والكرامة أن يدفعَ الرجلُ عن أهله وحريمه بسلاحه حتى يُرهَبَ جانبُه ولا يُستباحَ حماه، ولا يكتفي بالدِّفاع من خلال الكلام والتظلُّم والتَّحاور والنقاش؛ لأنَّ قوةَ الرَّدع تكونُ في السِّلاح، أمَّا الأمورُ الأخرى فلا يرهبها المعتدي، ولا تردُّ أذاه، ومن رأى غيرَ ذلك اقتحمه العدو وأهانه وهدم بنيانه، إنْ لمْ تكنْ له مبادرةٌ في ردعه بالقوة المجدية.

١١- **الأخلاق والشيم:** إنَّ ممارسةَ الأخلاق والشيم الطيبة المتوارثة عن الآباء والأجداد تقودُ إلى تواصلٍ حقيقيٍّ غير لفظيٍّ أثناء التعامل بها من الأشخاص

---

(١) «شرح القصائد العشر» (ص: ١١٨)، و«خزانة الأدب» (١٤/٣).

(٢) «التمثيل والمحاضرة» (١/ ٤٧) للثعالبي، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: الدار العربية للكتاب، الطبعة: الثانية (١٤٠١هـ-١٩٨١م)، و«المنهاج الواضح للبلاغة» (٣/ ٥٢) لحامد عوني، الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث، الطبعة: الأولى، و«شرح المعلقات السبع» (ص: ١٥١).

الآخرين، حيث يدُلُّ دلالةً واضحةً على شرف أصحابها وكرم أصلهم وصلابة عودهم وعراقته في صناعة الأمجاد، ومن ذلك بيت لبيد بن ربيعة التالي:

من مَعشَرٍ سَنَّت لَهُم آباؤُهُم ... وَلِكُلِّ قَومٍ سُنَّةٌ وَإِمامُها(١)

أولئك القومُ الكرامُ لا يتواصلون بأسلافهم من خلال أقوالٍ زائفةٍ، أو فخرٍ كاذبٍ، إنّما يتواصلون بهم من خلال عاداتٍ وتقاليدَ عريقةٍ ورثها الآخرُ عن الأول من كسب رغائب المعالي واغتنامها، ولكلِّ قومٍ سنَّةٌ وإمامُ سنَّةٍ يُؤتمُّ به فيها، فهم محافظون عليها وسائرون على نهجها طول حياتهم لا يحيدون عنها.

(١) «ديوان لبيد» (ص: ١١٦)، و«شرح المعلقات التسع» (ص: ٣٠٢)، و«جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب» (٢/ ٨٧) للهاشمي، تحقيق : لجنة من الجامعيين، الناشر: مؤسسة المعارف، بيروت (٢٠٠٩م).

الخاتمة

الحمدُ للهِ الذي بنعمته تتمُّ الصالحاتُ، وبجوده تكملُ الغاياتُ، والصلاةُ والسلامُ على سيدنا محمد أفصحِ العرب لسانًا، وأصدقِهم بيانًا وعلى آله وصحبه ومَن سار على نهجه إلى يوم الدين .

وبعد ،،،،،،،

فقد كان من أهمِّ النتائجِ التي توصَّلتُ إليها في هذا البحث ما يأتي :

أولًا: أنَّ ممارسةَ الاتصال بشقَّيه: اللفظي وغير اللفظي كانتْ وما تزالُ طبيعةً إنسانيةً بلورها الإنسانُ وطوَّرها من خلال الوراثة والتدريب والتعلم والمحاكاة.

ثانيًا: أظهر البحثُ أنَّ الشِّعرَ العربيَّ ــ بصفةٍ عامَّةٍ ــ والجاهليَّ ــ بصفةٍ خاصَّةٍ ــ غنيٌّ بشواهدَ غير لفظيةٍ مثيرةٍ للاهتمام، يفصحُ عنها المظهرُ الخارجيُّ، وتعبيراتُ الوجه، ونظراتُ العيون.

ثالثًا: أنَّ أنواعَ التواصلَ غير اللفظي في المعلقات العشر أربعةٌ: التشكُّلُ البصريُّ، والتشكُّلُ الحركيُّ، والجمعُ بين أكثر من تشكُّلٍ، وتشكُّلاتٌ أخرى.

رابعًا: أنَّ التشكُّلاتِ الأخرى تتمثَّلُ في: الإيماء، واللمس، والصوت دون استعمالٍ للحروف والكلمات، والمظهر، وملامح الوجه من التبسُّم والعبوس، والمذاق والرائحة، وطريقة المشي، والصمت، والابتعاد والتحاشي، والخبرات والتجارب، والأخلاق والشيم.

كانت هذه هي أهمُّ النتائجِ التي توصَّلْتُ إليها في هذا البحثِ .

وبعد :

فهذا عَمَلٌ متواضعٌ بذلتُ فيه قُصارَى جهدي، وما توفيقي إلَّا باللهِ عليه توكلتُ وإليه أنيبُ. وآخرُ دعوانا أنِ الحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

ثبت المراجع

- **الاتصال غير اللفظي في الشعر العربي**، لأحمد بن راشد بن سعيد، طنجة الأدبية، (٢٠٠٩م).
- **الأزمنة والأمكنة**، لأبي على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة: الأولى (١٤١٧هـ).
- **أمالي ابن الشجري**، لضياء الدين أبي السعادات هبة الله بن علي بن حمزة، المحقق: الدكتور محمود محمد الطناحي، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الأولى (١٤١٣هـ-١٩٩١م).
- **الأمثال**، لأبي عُبيد القاسم بن سلَام، المحقق: الدكتور عبد المجيد قطامش، الناشر: دار المأمون للتراث، الطبعة: الأولى (١٤٠٠هـ-١٩٨٠م).
- **البديع في نقد الشعر**، لأبي المظفر مؤيد الدولة مجد الدين أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني الكلبي الشيزري، تحقيق: د. أحمد بدوي، د. حامد عبد المجيد، ومراجعة: الأستاذ إبراهيم مصطفى، الناشر: الجمهورية العربية المتحدة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الإقليم الجنوبي، الإدارة العامة للثقافة.
- **البلاغة العربية**، لعبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي، الناشر: دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة: الأولى (١٤١٦هـ-١٩٩٦م).
- **تاج العروس من جواهر القاموس**، لأبي الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزَّاق الحسيني، الملقَّب بمرتضى الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.
- **تاريخ الأدب الجاهلي**، علي الجندي، الناشر: مكتبة دار التراث، الناشر: دار التراث، الطبعة الأولى (١٤١٢هـ-١٩٩١م).
- **التذكرة الحمدونية**، لمحمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون، أبو المعالي، بهاء الدين البغدادي، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الأولى (١٤١٧هـ).
- **التمثيل والمحاضرة**، للثعالبي، المحقق: عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: الدار العربية للكتاب، الطبعة: الثانية (١٤٠١هـ-١٩٨١م).

- **التواصل الفعال: الأسس النظرية والمجالات التطبيقية**، لمحمد الأمين موسى، جامعة الشارقة.
- **التواصل اللفظي وغير اللفظي**، لجميل حمداوي، الناشر: أولاد ميمون، المغرب، الطبعة الأولى (٢٠٠٦م).
- **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**، لعبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبي منصور الثعالبي، الناشر: دار المعارف – القاهرة.
- **الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي**، لأبي الفرج المعافى، المحقق: عبد الكريم سامي الجندي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى (١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م).
- **جمهرة أشعار العرب**، لأبي زيد بن أبي الخطاب، تحقيق: علي محمد البجادي، الناشر: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.
- **جمهرة الأمثال، لأبي هلال العسكري**، الناشر: دار الفكر، بيروت.
- **جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب**، لأحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، تحقيق: لجنة من الجامعيين، الناشر: مؤسسة المعارف، بيروت (٢٠٠٩م).
- **حماسة الخالديين في الأشباه والنظائر** من أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضرمين، للخالديان: أبي بكر محمد بن هاشم الخالدي، وأبي عثمان سعيد بن هاشم الخالدي، تحقيق: الدكتور محمد علي دقة، الناشر: وزارة الثقافة، الجمهورية العربية السورية.
- **الحيوان**، لعمرو بن بحر الجاحظ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الثانية (١٤٢٤هـ).
- **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**، لعبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الرابعة (١٤١٨هـ-١٩٩٧م).
- **دراسة في نصوص العصر الجاهلي تحليل وتذوق**، للسيد أحمد عمارة، الناشر: مكتبة المتنبي.
- **ديوان الشوقيات**، لأحمد شوقي، دار العودة، بيروت (١٩٨٨م).

- **ديوان امرئ القيس**، تحقيق: عبد الرحمن المصطاوي، الناشر: دار المعرفة، بيروت، الطبعة: الثانية (١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م).
- **ديوان طرفة بن العبد**، تحقيق: مهدي محمد ناصر الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الثالثة (١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م).
- **ديوان لبيد بن ربيعة العامري**، تحقيق: حمدو طمَّاس، الناشر: دار المعرفة، بيروت، الطبعة: الأولى (١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م).
- **الذخائر والعبقريات**، للبرقوقي، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، مصر (١٣٦٣هـ).
- **زهر الأكم في الأمثال والحكم**، للحسن بن مسعود اليوسي، المحقق: د. محمد حجي، د. محمد الأخضر، الناشر: الشركة الجديدة، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة: الأولى (١٩٨١م).
- **سمط اللآلي في شرح أمالي القالي**، لأبي عبيد البكري؛ الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت.
- **شرح الشواهد الشعرية في أمهات الكتب النحوية**، لمحمد بن محمد حسن شُرَّاب، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى (١٤٢٧هـ-٢٠٠٧م).
- **شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات**، للأنباري، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار المعارف، الطبعة: الخامسة.
- **شرح القصائدِ العشر للتبريزي**، الناشر: إدارة الطباعة المنيرية، عام النشر (١٣٥٢هـ).
- **شرح المعلقات التسع**، لأبي عمرو الشيباني، تحقيق: عبد المجيد همو، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة: الأولى (١٤٢٢هـ-٢٠٠١م).
- **شرح المعلقات السبع للزَّوْزَني**، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى (١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م).
- **شرح ديوان الحماسة**، لأحمد المرزوقي الأصفهاني، المحقق: غريد الشيخ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى (١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م).
- **شرح شواهد المغني**، للسيوطي، الناشر: لجنة التراث العربي، عام النشر (١٣٨٦هـ-١٩٦٦م).

- **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربيـــة**، لأبي نصر، إسماعيل بن حماد الجـــوهري الفارابي تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايـــين، بيـــروت، الطبعة: الرابعة (١٤٠٧هـــ-١٩٨٧م).
- **العقد الفريد**، لابن عبد ربه الأندلسي، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة: الأولى (١٤٠٤هـــ).
- **عيار الشعر**، لابن طباطبا، المحقق: عبد العزيز المانع، الناشر: مكتبة الخـــانجي، القاهرة.
- **الفاخر**، لأبي طالب المفضل بن سلمة بن عاصم، تحقيق: عبد العليم الطحـــاوي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية، عيســـى البـــابي الحلبـــي، الطبعـــة: الأولـــى (١٣٨٠هـــ).
- **قواعد الشعر**، للشيباني، المحقق: رمضان عبد التواب، الناشر: مكتبة الخـــانجي، القاهرة، الطبعة: الثانية (١٩٩٥م).
- **كتاب الفن ومذاهبه في الشعر العربي**، لأحمد شوقي عبد السلام ضيف الشـــهير بشوقي ضيف، الناشر: دار المعارف بمصر، الطبعة: الثانية عشرة.
- **لباب الآداب**، لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري، تحقيق: أحمد حسن لبج، الناشر: دار الكتب العلمية، بيـــروت، الطبعـــة: الأولـــى (١٤١٧هـــ-١٩٩٧م).
- **لسان العرب**، لأبي الفضل، جمال الدين، محمد بن مكرم بن على ابـــن منظـــور الأنصاري الرويفعى الإفريقى، الناشر: دار صادر، بيـــروت، الطبعـــة: الثالثـــة (١٤١٤هـــ-١٩٩٣م).
- **مجاني الأدب في حدائق العرب**، لرزق الله بن يوسف، الناشـــر: مطبعـــة الآبـــاء اليسوعيين، بيروت، عام النشر: (١٩١٣م).
- **محاسن الشعر وآدابه**، لابن رشيق القيرواني، المحقق: محمد محيي الدين عبـــد الحميد، الناشر: دار الجيل، الطبعة: الخامسة (١٤٠١هـــ-١٩٨١م).
- **مدى توافر مهارات الاتصال غير اللفظية** لدى هيئة التدريس فـــي كليـــة العلـــوم بجامعة القصيم من وجهة نظر الطلبة، لأحمد بن عبد الله بن صـــقير العرينـــي، رسالة ماجستير، الأكاديمية العربية في الدنمارك، كلية الآداب والتربية (٢٠١١م).

- **المعاني الكبير في أبيات المعاني**، لعبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، المحقق: المستشرق د. سالم الكرنكوي، الطبعة الأولى: (١٣٦٨هـ-١٩٤٩م)، الناشر: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن بالهند.
- **المعجم المفصل في شواهد العربية**، للدكتور إميل بديع يعقوب، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى (١٤١٧هـ-١٩٩٦م).
- **المنهاج الواضح للبلاغة**، لحامد عوني، الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث، الطبعة: الأولى.
- **مهارات الاتصال في الخدمة الاجتماعية**، للأستاذ الدكتور محمد سيد فهمي، الناشر: دار الوفاء، الطبعة الأولى (٢٠١١م).
- **مهارات التواصل اللغوي حقيبة تدريبية**، لمحمد بن ناصر الخليف، المملكة العربية السعودية وزارة التربية والتعليم الإدارة العامة للإشراف التربوي مشروع تطوير استراتيجيات التدريس.
- **مهارات التواصل غير اللفظي لدي عينة من الأطفال** ذوي التوحد، رسالة ماجستير، لمحمد أحمد محمد على، كلية التربية، جامعة عين شمس، (٢٠٠٨م).
- **الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء**، لأبي عبيد الله بن محمد بن عمران بن موسى المرزباني، المحقق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دارالكتب العلمية، سنة النشر: (١٤١٥هـ-١٩٩٥م).
- **نثر الدر في المحاضرات** لمنصور بن الحسين الرازي، المحقق: خالد عبد الغني محفوظ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى (١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م).
- **الوساطة بين المتنبي وخصومه**، للجرجاني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١-	ملخص	٢٠٦٧
٢-	Abstract	٢٠٦٨
٣-	مقدمة	٢٠٦٩
٤-	التواصل لغة	٢٠٦٩
٥-	التواصل اصطلاحاً	٢٠٧٠
٦-	مفهوم الاتصال اللفظي وغير اللفظي	٢٠٧٠
٧-	مكانة الاتصال غير اللفظي بين العلوم الإنسانية	٢٠٧٢
٨-	أنواع التواصل غير اللفظي في المعلقات العشر	٢٠٧٣
٩-	التشكّل البصري	٢٠٧٣
١٠-	التشكّل الحركي	٢٠٧٤
١١-	الجمع بين أكثر من تشكّل	٢٠٨٣
١٢-	تشكّلات أخرى	٢٠٩٠
١٣-	الإيماء	٢٠٩٠
١٤-	اللّمس	٢٠٩٠
١٥-	الصّوت	٢٠٩١
١٦-	المظهر	٢٠٩٣
١٧-	ملامح الوجه: التبسم والعبوس	٢٠٩٤
١٨-	المذاق والرائحة	٢٠٩٦
١٩-	طريقة المشي	٢٠٩٦
٢٠-	الصمت	٢٠٩٧
٢١-	الابتعاد والتّحاشي	٢٠٩٨
٢٢-	الخبرات والتجارب	٢٠٩٩
٢٣-	الأخلاق والشيم	٢٠٩٩
٢٤-	ثبت المراجع	٢١٠٢
٢٥-	فهرس الموضوعات	٢١٠٧